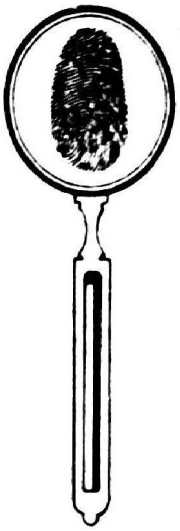

قصص بوليسية للأولاد

تصدر أول كل شهر

المغامرون الثلاثة في

لغز المياه الراقصة

المغامرة رقم ١٤٦

الطبعة الثالثة

بقلم: رجاء عبد الله

رئيس التحرير: رجب البنا

دار المعارف

obeikandl.com

رقم الإيداع	١٩٩٥/٤٦٧٤
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-4965-3

٧/٩٥/٦٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

الناشر: دار المعارف– ١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

obeikandl.com

obeikandl.com

روما.. المرة الأولى

أحمد

كانت هذه هي المرة الأولى إلى يزور فيها المغامرون الثلاثة "هادية" و"محسن" و"ممدوح" مدينة روما... فقد سبق لهم حقاً زيارة إيطاليا عندما زاروا خالهم في مدينة البندقية، أو فينيسيا الفاتنة..ولكن زيارتهم لم تتعد هذه المدينة إلى أي مدينة أخرى في إيطاليا.. لذلك عندما وصلتهم رسالة من أبيهم وأمهم – وكانوا وقتها في زيارة خالتهم في لندن – تطلب منهم اللحاق بهما في روما لقضاء بقية الإجازة، كانت مفاجأة لهم من أسعد المفاجآت التي حدثت في حياتهم.

وعندما لامست الطائرة مطار "دافنشي" في روما.. تسابق الثلاثة إلى النزول.. وكانت "هادية" أسبقهم، فقد كانت تتلهف شوقاً إلى رؤية أمها وأبيها بعد غياب شهر كامل وهي بعيدة عنهما.

ولكن المفاجأة القاسية، أنهم لم يجدوهما في انتظارهم.. وداروا بأنظارهم في كل مكان في هذا المكان في هذا المطار الكبير النظيف بحثاً عنهما..ولكن بدون جدوى.

فجأة..وصل إلى سمعهم صوت ينادي ويردد "محسن".. ممدوح والتفتوا خلفهم..وصرخ "محسن" وهو يقفز في اتجاه الصوت: أحمد..أحمد..وأسرع إليه يصافحه.. كان صديق عمرهم "أحمد" يتقدم إليهم مرحباً، وصرخ "ممدوح": ماذا تفاعل هنا؟ هل رأيت أمي وأبي؟ وابتسم أحمد ابتسامة حزينة وقال: نعم.. في الحقيقة لقد حضرت إليكم بدلاً منهما..

obeikandi.com

فقد سافرا اليوم إلى القاهرة ولدهشتهم الشديدة انفجر أحمد باكياً.. ثم تمالك نفسه وقال:

آسف إنها قصة طويلة، سوف أقصها عليكم بعد عودتنا إلى المنزل.. وأسرع يتقدمهم إلى حيث تسلموا حقائبهم، ثم قادهم إلى خارج المطار، ووضع الحقائب في سيارة تاكسي وهمس للسائق بالعنوان، ومضى التاكسي بهم مسرعاً.

كانت الصدمة قاسية عليهم، فلم تكن هذه المقابلة الكئيبة هي التي كانوا ينتظرونها، ودارت الخواطر في رأس كل منهم على حدة، ترى ما الذي حدث ليجعل أحمد يبكي ويضطر أمهم وأباهم للعودة إلى القاهرة؟ وساد الصمت بينهم، ولم يشعروا بالطريق، ولا بالمعالم التي يمرون بها، حتى وصلوا إلى "فيلا" صغيرة وسط منطقة محاطة بالحدائق من كل جانب.. فهبطوا من السيارة حتى وصلوا إلى الداخل في موكب صامت...

جلسوا في حجرة المعيشة.. ونظروا في تساؤل إلى "أحمد" الذي تكلم أخيراً وقال وهو يمد يده برسالة إلى "محسن": لقد تركت لكم والدتكم هذه الرسالة.

وأسرع محسن يقرؤها وألتف حوله "ممدوح" و هادية.. وكانت الرسالة تقول: أعزائي.. يؤسفني عدم انتظاركم في المطار، لقد حدثت كارثة فجائية، فقد توفى والد صديقكم أحمد، وكان لابد من العودة به إلى القاهرة، لا تتركوا أحمد أبداً إنه في حالة سيئة، حاولوا التسرية عنه والاهتمام به، وكونوا حريصين على بعضكم وإلي اللقاء.

وخرستهم الصدمة، كان الموقف أكبر من أي عزاء إنهم يعرفون العلاقة الحميمة بين أحمد وأبيه، حتى أن والده عندما انتدب لمدة سنة للعمل كأستاذ زائر في جامعة روما قرر أن يأخذ إجازة لأحمد يذاكر فيها دروسه في المنزل ويعود فترة الامتحانات فلم يكن ليتركه أبداً.

وابتسم أحمد ابتسامة صغيرة حزينة، وقال محاولاً أن يتظاهر بالقوة والصمود:

أنا آسف، كنت أتمنى أن تتمتعوا برحلتكم بدون هذه الأحزان!

ولم يرد أحد.. فقد كان الحزن عظيماً

وأخيراً نطقت هادية: لماذا لم تعد إلى القاهرة أنت أيضاً.

أجاب "أحمد في صوت باك: إن أبي كان يريد أن أتقن اللغة الإيطالية، فالتحقت هنا في معهد للغات، وتنتهي مدة الدراسة في آخر هذا الشهر، ولذلك اقترح والدكم أن أبقى هنا على أن تقيموا معي هذه المدة، خصوصاً عندما حضر من القاهرة شخص من الحكومة ليعود بهم، وهو الذي اقترح علي ذلك.. وقد وافقت.

وقطع البكاء كلماته.

مرة أخرى ساد الصمت، ثم وقف أحمد وسار في خطوات بطيئة إلى النافذة، ورفع جزءاً صغيراً من الستارة ونظر إلى الخارج، ثم عاد يقول: لقد بدأ الظلام يسود المنطقة، لا داعي لخروجنا اليوم.. سوف نعد عشاء هنا، ونقضي الليلة.

وقام ممدوح إلى المطبخ الأنيق، وأعد عشاءً سريعاً لهم جميعاً وأحضره إليهم حيث جلسوا يتحدثون أحاديث عامة يقطعها الصمت بين فترة وأخرى، ولاحظت هادية بدهشة أن أحمد قد تناول عشاءه بشهية ملحوظة، ولكنه كان ينظر حوله بين لحظة وأخرى ويبدو وكأنه يصغي سمعه كمن يحاول سماع صوت بعيد.

وأخيراً قاموا إلى النوم.. وكانت هناك حجرة صغير بها سرير واحد، وبجوارها حجرة كبيرة معدة لنو ثلاثة أشخاص، ومن الطبيعي أن الحجرة الأولى قد أعدت لهادية والثانية للأولاد الثلاثة.. وبين الحجرتين باب يربط بينهما، وعندما اتجهوا إلى النوم قال أحمد لهادية: نحن في الحجرة المجاورة والباب الفاصل غير مغلق بالمفتاح.. إذا احتجت إلى أي شيء فما عليك إلا أن تنادي علينا!

شكرته هادية ونظرت إلى محسن نظرة ذات معنى.. فهمها على الفور، فترك أحمد وممدوح وحدهما.. وعاد إليها.. همست هادية في أذنه: ألا تلاحظ شيئاً على أحمد؟

محسن: الحقيقة أنني أشعر أن هناك جواً غريباً لا أستطيع أن أفهمه أو أحدده!

هادية: لقد لاحظت عليه نوعاً من القلق والخوف.. أكثر من الحزن.. وهذا شيء غريب!

محسن: هذا صحيح.. ولكن ربما كانت الصدمة قد أثرت على أعصابه، ولذلك طلبت منا والدتنا ألا نتركه.. نامي الآن.. وسوف تتضح الأمور غداً، تصبحين على خير.

هادية: وأنتم جميعاً بخير.

في اليوم التالي كانت السماء مشرقة.. والشمس ساطعة، والجو شديد الحرارة.. وعندما استيقظوا كان أحمد قد سبقهم وأعد الإفطار، وجلس في انتظارهم، وفي يده كتاب يذاكر فيه.

أحمد: صباح الخير.. لقد جهزت الإفطار وأيضاً حجزت لكن بالتليفون جولة كبيرة في روما بالأوتوبيس السياحي.. ستبدأ في العاشرة، وتنتهي في الخامسة.. فليس من المعقول أن تقضوا اليوم جلوساً بجواري، وروما تمتلئ بالأماكن السياحية التي يجب أن تزوروها!

هتف محسن: غير معقول، طبعاً لن نتركك.. هل تتصور أننا نريد أن نلعب ونشاهد الآثار وتبقى وحدك؟

أحمد: لا داعي للاعتراض يا محسن إن عندي امتحاناً بعد غد، ويجب أن استعد له.. وأن أنجح فيه كما كان يريد والدي، بعد ذلك سوف أذهب معكم في كل مكان.

صمتوا في يأس من محاولة إقناعه، وبعد الإفطار، أتى أحمد بخريطة لمدينة روما وقال لهم مشيراً إلى معالمهم: سوف تسيرون على الأقدام في هذا الشارع مباشرة لتجدوا أمامكم محطة سكة حديد روما، وهي ليست بعيدة، ثم تنحرفوا يميناً إلى آخر رصيف المحطة لتجدوا موقفاً للأوتوبيسات السياحية.. اذكروا أسماءكم في الشباك ليعطيكم العامل التذاكر ويشير إلى الأوتوبيس الذي يجب أن تركبوا فيه!

نظروا إليه حيارى.. قال مبتسماً: لا داعي للقلق علي.. سوف أكون بخير!

تنهدت هادية ولمعت في عينيها الدموع، فأسرع ممدوح يجذبها إلى الخارج، وقال متظاهراً بالابتسام: سوف نعود نهاية الرحلة فوراً!

ولاحظوا أنه أغلق وراءهم الباب من الباب جيداً، حتى قبل أن يبتعدوا!

ونفذوا كلامه بالضبط، ووجدوا الأوتوبيس في انتظارهم، وبدءوا الجولة!

قال ممدوح: تماماً كما فعلنا في لندن، سوف نشاهد جميع المعالم السياحية في يوم واحد، في هذه الجولة السريعة، وبعدها نزور هذه الأماكن وحدنا!

ودار بهم الأوتوبيس في جولة طويلة.. وزاروا فيها عدداً كبيراً من الأماكن السياحية بدأت في بمدينة الفاتيكان.. زاروا كنيسة القديس بطرس، وذهلوا لما تحتويه من آثار هائلة، ثم عادوا إلى روما ليشاهدوا فونتانا دي تريفي أو نافورة تريفي وحديقة الحيوان المفتوحة، ويقضون وقتاً سريعاً في المتحف القومي، ثم الحدائق الواسعة والأسواق المتعددة.. ثم عاد بهم الأوتوبيس مرة أخرى إلى حيث بدءوا رحلتهم، وكان التعب قد حل بهم، فقرروا أن يعودوا إلى البيت.

قال محسن وهم يقتربون من المنزل: برغم الحرارة الشديدة، فإن روما مدينة فاتنة!

ممدوح: الناس فيها جميعاً ظرفاء، غناؤهم وضحكهم لا ينقطع!

هادية: هذا صحيح، ولكنها شديدة الضوضاء.. إن أصوات الناس عالية، وضجيج السيارات مرتفع، وحتى سرينة سيارات النجدة والإسعاف والحريق مرتفعة إلى درجة مخيفة، وهي أيضاً لا تنتهي.. وفي كل مكان.. إن هذا يصيب الناس – لاشك- بالتوتر!

ممدوح: أعتقد أنك أنت التي تشعرين بالتوتر، نتيجة للمفاجأة المؤسفة التي حدثت لنا بالأمس!

محسن: ولكن كلام هادية صحيح.. إن ضجيج سيارات النجدة والإسعاف نتيجة للجرائم العديدة هنا، إننا نقرأ عن كل ذلك كل يوم في الجرائد.. وهنا أيضاً موطن المافيا الأصلي.. وأكبر عصابات الخطف العالمية.

ممدوح: ها نحن قد اقتربنا من المنزل.. أرجو أن يكون أحمد قد انتهى من المذاكرة حتى نصحبه في جولة صغيرة بعيداً عن جو المنزل.. ولكن يا..! ماهذا؟

وقفز ممدوح فجأة جارياً في اتجاه المنزل، كان هناك دخان أبيض يتسلل خارج البيت، والغريب أيضاً أن الباب لم يكن مغلقاً، فعندما دفعه ممدوح انفتح أمامه، ولكن سحابة كثيفة من الدخان هاجمتهم، وتراجع ممدوح وهو يسعل، وبسرعة أخرج منديلاه وربطه على أنفه، وقفز داخلاً.. وفي لحظا سريعة، كان قد وصل إلى النوافذ وفتحها ليطرد الهواء هذا الدخان وصاح: محسن تعال بسرعة!

واندفع محسن داخلاً.. كان أحمد ممدداً على الأرض، اندفع إليه محسن وأحاطه بيده ليرفعه ويخرجه من البيت، وسمع صوته ضعيفاً يقول: محسن.. المفتاح.. احترس.. المفتاح.. ثم أغمض عينيه وفقد الوعي.

opelkanal.com

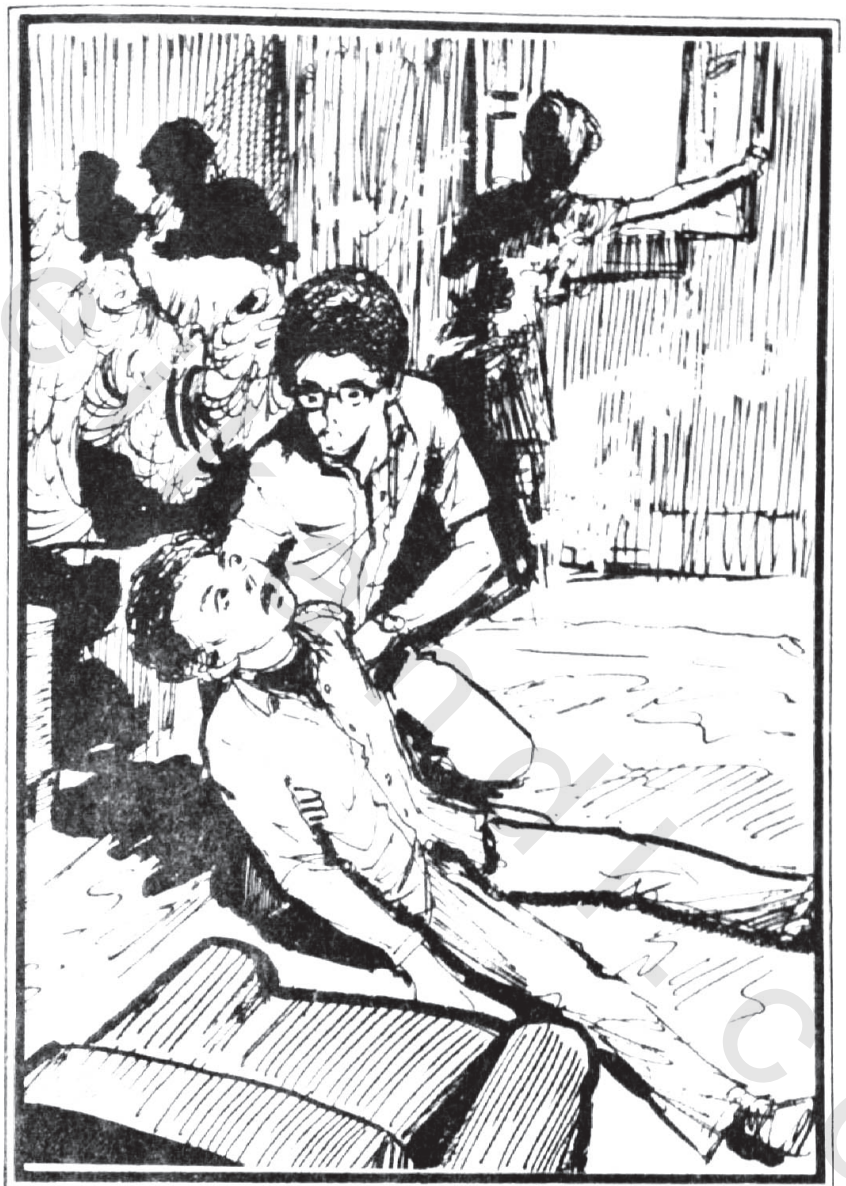

كاد أحمد ممدداً على الأرض ، واندفع محسن ، وأحاطه بيديه

وجذباه إلى الخارج.. وكان الدخان ينقشع شيئاً فشيئاً.. وحاولت هادية وشقيقاها أن يعيداً إليه الوعي.. ولكنه كان غارقاً في إغماء عميق..

وبسرعة أمسك محسن بالتليفون وطلب الإسعاف.. وقال: من حسن الحظ أنهم يتكلمون الإنجليزية.. وفي لحظات وصلت العربة.. وحاول رجالها معالجته، ولكن بلا فائدة.. فوقف الطبيب، وقال: يجب أن نذهب به إلى المستشفى.

وهتف محسن: سوف نصحبه!

وهز الطبيب رأسه موافقاً.. وأسرع رجال الإسعاف ينقلونه إلى السيارة، وركب معه أصدقاءه الثلاثة، وسارت بهم السيارة إلى المستشفى.

تركزت أعينهم على أحمد.. كانوا يتابعون أنفاسه الضعيفة وهم يشعرون بالخوف والقلق وانتبهوا على أحد الرجال يقول وهو يخز رأسه متعجباً: من الغريب أن هذه ليست الحادثة الأولى، فقد سبق لنا من أيام أن حملنا رجلاً من نفس المنزل، مصاباً بنفس الإصابة.

ونظر بعضهم إلى بعض في دهشة، ولكنهم لم يتمكنوا من الاستفسار عن الحادث السابق، فقد كانت العربة قد توقفت، وأسرع الرجال يحملون أحمد إلى الداخل.

وقف الثلاثة على باب حجرة العلاج ينتظرون في لهفة خروج الطبيب، ولم يتبادلوا أي كلمة، فقد كان كل منهم غارقاً في أفكاره.. وكان محسن يتساءل بينه وبين نفسه هل هم على أبواب لغز جديد؟ أو أنها رحلة حزينة كتب عليهم أن يعيشوا فيها مرغمين؟

أما ممدوح فقد كان يشعر بالقلق على زميله أحمد والأسف على الرحلة التي يقضونها في المستشفى، والندم على أنهم تركوا صديقهم وحده هذا النهار.

أما هادية فقد كانت كل هذه الخواطر تطوف برأسها، أما الفكرة الأقوى التي كانت تسطير عليها فهي أنهم لا شك أمام لغز جديد، غامض وخطير.

وانتبهوا من أفكارهم على الطبيب وهو يخرج من حجرة أحمد تعلقت عيونهم بوجهه ولكنه من كان يتسم لهم مطمئناً وقال: من حسن الحظ أنكم وصلتم إليه في وقت مناسب.. ألستم أصدقاءه الذين استنجدوا بالإسعاف؟

قال ممدوح: نعم!

الطبيب: لقد تعرض لكمية من الغاز المخدر، ولو تأخرتم قليلاً لقتلته كمية الغاز التي أطلقت عليه..

محسن: هل يمكننا أن نراه؟

الطبيب: لا أظن ذلك، فهو الآن في نوم طبيعي عميق، وسوف يستيقظ غداً، وبعد الكشف عليه مرة أخرى سوف نقرر متى يمكنه مغادرة المستشفى.

شكروا الطبيب وقد ظهرت الراحة على وجوههم، وتركهم وحدهم يناقشون خطوتهم التالية.. والتي لم يكن أمامهم إلا أن يقوموا بها وهي العودة إلى المنزل!

وفي خطى متثاقلة، غادروا المستشفى، واستقلوا تاكسياً أعادهم مرة أخرى إلى البيت، الذي كان مظلماً وهادئاً تماماً..

قالت هادية: إنني أخشى دخول المنزل!

تقدم ممدوح بخطوات جريئة قائلاً: لا تخافي سوف أدخل أولاً ودفع باب المنزل ومد يده وأضاء الأنوار، ونظر حوله بجرأة، ثم هتف:

تفضلا ليس هناك ما يمكن أن نخشاه.

ودخل محسن وهادية ونظرا داخل المنزل، وهمس محسن لقد دخل المنزل أشخاص غرباء في أثناء غيابنا!

ممدوح: أين؟. إنني لا أرى أحداً هنا؟

وتقدمت هادية إلى الداخل، ووقفت بجوار المكتب الذي كان يجلس عليه أحمد وقالت معك حق، لقد تعرض المنزل للتفتيش الدقيق!

أطل محسن برأسه داخل الغرفة الكبيرة، ومد يده وأضاء الأنوار، وأطمأن إلى أن الغرفة خالية، ونظر حوله وقال: وهنا أيضاً!

obeikandl.com

وجاء صوت هادية.. من غرفة المكتب يقول: وحجرة المكتب كذلك!

جلس ممدوح.. تنهد ومد ساقيه ليستريح وقال: يبدو أنكم تتخيلون أشياء لا وجود لها.

جلست هادية بجواره وأشارت بيدها إلى الأثاث إشارة مدققة إلى كل قطعة على حدة وقال: لو نظرت جيداً، لرأيت أن لأدراج قد فتحت ولم تغلق جيداً، فلم تعد إلى مكانها، كذلك اللوحات مهزوزة وغير مستقرة في أماكنها، حتى المقاعد أيضاً تحركت عما كانت عليه، ورفوف لمكتب ليست على نفس النظام الذي رصت به.. إنك تحتاج إلى القدرة على الملاحظة يا أخي.

محسن: شيء غريب، أنا لم أتوقع أن أجد هنا أيضاً لغزاً يشغل تفكيرنا! قبل أن يرد عليه احد، توترت نظراتهم واتجهت إلى الباب، وهم يسمعون صوت خطوات أقدام في الممر، وام ليث أن ارتفع صوت جرس الباب يقطع السكون.

وقف ممدوح وتقدم إلى الباب، فتحه وهو يتحرك جانباً خوافاً من أي مفاجأة، وعلى الباب وقف شاب لا يتجاوز الثلاثين من العمر، أسود الشعر والعينين مصري الملامح، وعلى شفتيه شبه ابتسامة ودودة.

قال الضيف بعربية واضحة: مساء الخير.. هل يمكن أن أدخل.. أنا صديق أحمد وولده!

ممدوح: تفضل!

ودخل الضيف الغريب المنزل، وكأنه يعرف كل خطوة فيه، وحيا محسن وهادية قم جلس على الفور!

قال: اسمي فيصل عدنان من لبنان.. وأنا أعرفكم، فقد كان أحمد في انتظاركم ممدوح ومحسن والآنسة هادية واتسعت ابتسامته وقابلوها بابتسامة مرحبة!

ثم قال الضيف: الحقيقة أنني أتيت من أجل المفتاح إلى تركه معكم أحمد قبل أن بذهب إلى المستشفى!

نظر بعضهم إل بعض في دهشة شديدة.. وتذكر محسن شيئاً ونظر إلى هادية التي اتجهت إليه بنظرة محذرة، فصمت، وعادوا ينظرون إلى الضيف في صمت!

تنهد الرجل في ملل وقال: لماذا ينظر بعضكم إلى بعض؟ إنه مفتاح يخصني، كان مع أحمد و.. وقد أتيت لآخذه منه!

قال محسن: ولكننا لا نعرف شيئاً عنه، ولم يخبرنا أحمد بأس شيء عن المفتاح!

فجأة تغيرت ملامح الرجل إلى غضب هائل، وبدا وكأنه يحاول أن يتمالك نفسه بكل ما يستطيع من قوة، ثم هب واقفاً وصوته يرتعد من الغضب.

إن هذا المفتاح يخصني، وأنا أريده فوراً!

ممدوح: نقسم لك أننا لم نر أي مفتاح هنا

الرجل: حسناً إذا لم يكن موجوداً هنا، وكنتم قد أخفيتموه في أي مكان فأنصحكم بأن تحضروه وإلا..

وصمت قم قال: سوف أعود مرة أخرى

ونظر إليهم نظرة هائلة.. ثم تحرك خارجاً وجذب الباب خلفه بكل قوته.. تنهدت هادية وقالت: أعتقد الآن أننا فعلاً وسط قضية غامضة!

ممدوح: وأي غموض؟ نحن هنا في مواجهة لغز غريب، ولكن ما هو؟

ما هي البداية؟ ما هو الموقف؟ هذا ما لا نعرف شيئاً عنه على الإطلاق!

هادية: ولهذا يسمونه لغزاً يا عزيزي.

دخل المغامرون الثلاثة إلى حجراتهم استعداداً للنوم، وتمدد ممدوح على السرير غارقاً في أفكاره، في حين خلع محسن ملابسه ببطء وهو يفكر في أحداث اليوم، وفجأة سمع رنيناً خافتاً على الأرض بجواره، نظر أسفل قدميه وصرخ: انظروا!

في لحظة كانوا جميعهاً بجواره، وبين أقدامهم مفتاح أسود كبير غريب الشكل.. وانحنى محسن يلتقطه وقال: تذكرت الآن.. عندما انحنيت محاولاً رفع أحمد من الأرض كانت آخر كلماته.. المفتاح.. المفتاح. وأمسك ممدوح المفتاح في يده وقال، وها هو ذا المفتاح.

هادية: الأمر واضح الآن.. عندما احتضنه محسن ليرفعه، أسقط أحمد المفتاح من جيبه!

محسن: وهذا معناه أنه يريد أن يخفيه معنا..

ولكن ما شأن هذا الضيف الغامض الذي يبحث عنه؟

أشارت هادية بيدها إلى شقيقها وقالت: علينا أن نبحث الأمر من البداية.. جلسوا مرة أخرى.. وقال ممدوح: انتظرا حتى أحضر عصيراً بارداً يهدئ أعصابنا لنفكر في هدوء.

وأتى إليهم بأكواب العصير.. وساد الصمت بينهم، وأمسكت هادية بورقها وقلما.. وأخذت تدون بعض النقاط، في حين كان محسن يقرأ معها ويقدم لها ملاحظاته.. وأخيراً قالت هادية: هذا هو كل ما لدينا.. وسأعرضه عليكما.

لاحظت منذ وصولنا أن أحمد يبدو عليه من القلق أكثر مما يبدو عليه من الحزن، فهو يلتفت باستمرار، وينظر من وراء ستائر المنزل إلى الطريق.. وهو دائماً يبدو وكأنه يتصنت ليستمع إلى صوت ما.. وعندما خرجنا أغلق الباب وراءنا جيداً وبالمفتاح والغريب أن كان يأكل بشهية طيبة لا تتفق مع حزنه على والده.

ممدوح: هل تعتقدين أنه غير حزين لفقده أبيه؟

هادية: لست أدري، إن هناك جواً غامضاً يحبط به.

محسن: أكملي كلامك وملاحظاتك.

هادية: ثم يأتي الهجوم على المنزل.. وهذا الغاز المخدر الذي أطلق عليه.. وقول طبيب الإسعاف إنها المرة الثانية التي يأتي فيها مصاب بنفس الإصابة ومن نفس المنزل.. وتفتيش المنزل تفتيشاً دقيقاً، ثم الزائر الذي يدعي أن اسمه فيصل وتهديده لنا وأخيراً، هذا المفتاح.

ممدوح: إنه عرض واف لكل الأحداث.. ولكن يبدو أننا قد نسينا شيئاً هاماً.

محسن: ما هو؟

ممدوح: كان من الواجب أن نبلغ الشرطة فور وقوع الحادث!

هذا صحيح ولكن من المؤكد أن المستشفى سوف يقوم بهذا الدور

هادية: فعلاً.. فهذه هي القواعد المتبعة، ولكن دورنا الآن أن نحاول ربط هذه الأحداث ببعضها، وما رأيك يا محسن؟

obeikandl.com

محسن: رأيي ا، السر كله يدور حول هذا المفتاح.. لقد أعطانا أحمد المفتاح سراً، حتى بدون أن أشعر أنا.. ولأن اللصوص لم يعثروا عليه، أرسلوا لنا المدعو فيصل في محاولة للضحك علينا والاستيلاء عليه إذا كان معنا.

هادية: هناك أمر هام.. كان يجب أن نلاحظه في وقته!

محسن: ما هو؟

ممدوح: أعتقد أنني قد عرفته.. لقد قال الرجل إن احمد قد ذهب إلى المستشفى، وهذا الحادث لم يعرفه إلا نحن فقط ورجال الإسعاف، والفاعل طبعاً، فكيف عرف هو؟

محسن: ماذا جرى، هل أصابتك عدوى التفكير؟ لأول مرة تفكر بشكل منطقي

هادية: لسبب بسيط، إن عضلاته لا تعمل، فهو لم يعرف الأماكن الرياضية في روما حتى الآن.. ولذلك وجد نفسه مضطراً للتفكير!

قال ممدوح بجدية: اسخرا كما تشاءان ولكن الحقيقة أن أمر أحمد يهمني جداً، فهو من أعز أصدقائي!

قالت هادية بحنان: وصديقنا أيضاً لا تنس ذلك، ولهذا فنحن هنا! وعلى كل حال فملاحظاتك دقيقة وهامة.. إن هذا يجعلنا نزداد شكاً في أمر هذا الرجل.

قام ممدوح وأحضر المفتاح، ووضعه أمامهم.. وهمس محسن:

ترى ما السر وراء هذا المتفاح؟

كان المفتاح غريباً، فهو سميك أسود اللون يبدو مثل مفاتيح الأبواب القديمة، أو الأسوار الحديدية، له رأس على شكل مثلث، أملس تماماً.

قال محسن: إن المفتاح ليس لغزاً بل ما يفتحه هذا المفتاح هو اللغز الحقيقي.

هادية: هذا صحصح.. فلنحاول أن نجد الباب الذي يفتحه.

وقاموا جميعاً، لم يتركوا شيئاً ولا مكاناً في المنزل إلا حاولوا أن يجربوا عليه المفتاح، حتى الحوائط فحصوها وتحسسوها، ودقوا على الأرض بحثاً عن باب سري، كل ذلك بلا جدوى.. جلسوا مرة أخرى، وقال محسن: والآن ماذا نفعل؟

هادية: ليس أمامنا حالياً إلا أمر واحد.. أن يسترد أحمد وعيه، ويزيل الستار عن هذه الأسرار.

ممدوح: معك حق.. أما الآن فعلينا أن نخلد إلى النوم.. فمن يدري ماذا سيقابلنا غدا؟

محسن: والمفتاح؟

ممدوح: سوف يبقى معي، فأنا على الأقل أكثر منكما قوة.. ويمكنني أن أحافظ عليه!

وذهب المغامرون الثلاثة إلى النوم.. ولكن النعاس كان بعيداً عن عيونهم، فما كانوا ينتظرون هذا اللغز المفاجئ والسريع الذي قابلهم.. وخاصة وهم لا يجدون له باباً واحداً من الممكن أن يقودهم إلى الحل.. ولم يعرف واحد منهم متى غلبه النوم، ولكنهم عندما استيقظوا، كان الوقت قد تجاوز التاسعة صباحاً.. وهب ممدوح من فراشه صائحاً: غير معقول.. كيف نمنا حتى هذه الساعة؟

قالت هادية: وهي تتثاءب: التاسعة! ولكن الهدوء سائد وكأننا في منتصف الليل.

قال محسن وهو يحاول الجلوس: يبدو انه اليوم الهادئ الوحيد في روما، هل نسيتم أن اليوم هو الأحد؟

جلسوا جميعاً وقالت هادية: معك حق.. لابد أن كل سكانها قد هجروها إلى المصايف والريف لقضاء اليوم!

قفز ممدوح من مكانه وقال: سوف أعد إفطاراً سريعاً.. هيا لقد تأخرنا، يجب أن نذهب إلى أحمد.

في العاشرة تماماً، كانوا يغادرون المنزل إلى طريق المستشفى، ساروا في شارع تظلله الأشجار من كل جانب، فجأة وقف ممدوح، وانحنى متظاهراً بأنه يربط حذائه، ودار حول نفسه دورة سريعة، ثم لحق بشقيقه وقال: لا تلتفتا وراءكما.. إن وراءنا رجلاً واحد على الأقل يتبعنا!

محسن: هل أنت متأكد؟

ممدوح: سوف أتأكد أكثر

وأخذ ممدوح يرفع صوته متظاهراً بالغناء.. وفهمت هادية على على الفور فدفعته بيدها صارخة فيه كي يصمت، وتظاهر هو بالضحك، وأخذ يدور حولها وهو يرفع صوته أكثر، وهي

أيضاً تطارده، ووقف محسن مرتكناً بظهره على شجرة وهو يصم أذنيه بيديه.. ولكن عينيه كانتا تدوران في كل مكان، وكانت هذه الحركة كافية لأن يرى غير بعيد عنهم رجلاً يختفي وراء شجرة! وكان ممدوح وهادية أيضاً قد لاحظا ذلك.

وتكاتفت هادية ومحسن على إغلاق فم ممدوح الذي رفع يده مستسلماً لهما، فأمسكاه بينهما وسارا بخطوات عادية

هادية: رائع يا ممدوح! إن لك فائدة بلا شك.

محسن: أحياناً.. على كل حال اتضح لنا أننا في قلب القضية تماماً

هادية: للأسف، لو كان معنا عنتر لكان في إمكانه أن يقبض على الرجل ويخلصنا منه.

محسن: آه لو كان معنا عنتر العزيز، كلبنا المخلص، هذه هي المغامرة الثانية التي نغرق فيها وهو بعيد عنا.

ممدوح: لن أغادر مصر بعد هذه المرة.. لقد اشتقت إلى كل شيء فيها: عنتر أولاً، والكابتن حمدي ثانياً، وقبل كل شيء أرضها وسمائها وهوائها.. ومائها.. وكل شيء فيها!

هادية: كفى، سوف أبكي لو استمر هذا الكلام!

ممدوح: لا داعي للبكاء.. إن لدي خطة صغيرة، سأقوم بها اليوم.. عندما ندخل المستشفى، سيتصور من يطاردنا أننا ذاهبون إلى أحمد ولكني سوف أغادر المستشفى من أي باب جانبي، وسأعود إليكم في المنزل في الساعة الخامسة.

هادية: أين ستذهب؟

ممدوح: في روما سوق اسمه بورتا بورتيزي يفتح أبوابه يوم الأحد فقط، وهو سوق شعبي سأشتري منه بعض الأدوات الرياضية الرخيصة.

وصرخت هادية: هل أنت مجنون؟ هل هذا وقته؟

ممدوح: ستفهمين فيما بعد: الآن نحن أمام المستشفى.. لا ترفعي صوتك، تصرفي بطريقة طبيعية!

ودخلوا المستشفى واتجهوا إلى الداخل، وكان الزائرون كثيرون في هذه الساعة فاختلطوا بهم، وفي لحظات نظرت هادية حولها فلم تجد ممدوح سارا بخطوات ثابتة.. حتى وصلاً إلى حجرة أحمد.. وهناك كان الطبيب في الداخل، فانتظر حتى سمح لهما بالدخول.

كان أحمد يجلس على سريره، وابتسم عندما دخلا، ولكن وجهه كان باهتاً مرهقاً.

قال الطبيب: إنه في حالة جيدة الآن.. سوف يمكث معنا يومين للاطمئنان عليه.

أحمد: ولكني أريد العودة إلى المنزل.

محسن: هل هو تحت علاج خاص؟

هز الطبيب رأسه وقال: لا.. إن علاجه بعض الأقراص في مواعيد محددة، ولكننا لا نريده أن يتعرض للإرهاق.

محسن: يمكننا أن نعتني به، ونعطيه الدواء في المواعيد المحددة.

الطبيب: إذا كان مصراً على العودة فليس لدي مانع، على ألا يبذل أي مجهود شاق لمدة ٢٤ ساعة على الأقل.

هادية: سنستقل تاكسياً حتى البيت، ثم يجلس على سريره كما هو الآن تماماً، فقط ستكون حوله نسليه ونرعاه.

محسن: هل اتصلتم بالشرطة يا سيدي؟

الطبيب: نعم، وجاء الضابط اليوم، ولكن أحمد أخبره أن أحداً لم يكن مسئولاً عما حدث، وإنما هي زجاجة كانت في المعمل عندهم وقد سقطت منه فوقع الحادث!

وقال محسن مندهشاً: وهل اقتنع الضابط؟

الطبيب: طبعاً فهو غارق في أحداث أكبر، وأحب شيء لديه فهو غارق في أحداث أكبر، وأحب شيء لديه أن تنتهي الحوادث بدون تحقيق.

وقال أحمد مندهشاً: إن هذا ما حدث فعلاً!

ونظر إليه محسن فرأى في عينيه رجاءً صامتاً فهم معناه، فسكت تماماً.

قال الطبيب: سأضع عربة إسعاف تحت أمركم.. ستكون جاهزة في خلال ساعة، وإليكم نظام العلاج!

كانت الساعة حوالي الواحدة ظهراً، عندما وصلوا إلى المنزل.. واستقر أحمد في السرير وجلس محسن بجواره، وقالت هادية: سوف أعد لكما غذائ شهياً!

قال أحمد: أين ممدوح؟

محسن: لست أدري ماذا جرى له؟ لقد تركنا ليذهب إلى سوق بورتاريزي.

ابتسم أحمد وقال معه حق.. إنه سوف يجب أن تشاهدوه

تحركت هادية في طريقها إلى لمطبخ..ولكن أحمد قال: انتظري.. لابد أنكما تريدات تفسيراً طويلاً

همست له هادية: ليس الآن، يجب أن تستريح، ثم أننا سننتظر ممدوح حتى لا تتكلم أكثر من مرة!

وأسرعت إلى المطبخ وهي تقول: سأعد لكما مكرونة على الطريقة الإيطالية، وقال محسن: يجب أن تنام قليلاً، سوق أقرأ في هذا الكتاب حتى تستيقظ..

وفي لحظات استغرق أحمد في نوم عميق حتى أن هادية عندما رأته رفضت أن توقظه ليتناول الغداء وقالت: سوف يفيده النوم والراحة كثيراً، سنأكل شيئاً من الفاهكهة حتى تستيقظ.. وننتاول الغداء كلنا معاً!

كانت الساعة تقترب من الخامسة، عندما استيقظ أحمد، وكان الانتعاش بادياً عليه، والتحسن الملحوظ يظهر على وجهه وفي عينه، وابتسم قائلاً: أكاد أموت جوعاً!

وهتفت هادية: سأحضر الطعام فوراً

أحمد: سنأكله على المائدة في حجرة المعيشة.. إنني في صحة جيدة الآن

والتف الثلاثة حول المائدة.. في الوقت الذي وضعت فيه هادية طعاماً شهياً أمامهم، وقبل أن تمتد أيديهم إلى الأكل، كانت خطوات نشطة تقترب من الباب وطرقات راقصة تطرقه.

وهتف محسن: إنه ممدوح!

واندفع ممدوح وفي يده بعض الأدوات الرياضية، ألقاها على أقرب مقعد وهو يصيح:

يا للخيانة.. طعام من غيري!

وتظاهر محسن بالأسف وهو يقول: لن نجد ما نأكله مادام الوحش قد وصل!

وارتسمت الابتسامات على الوجوه، وأخذوا يتناولون الطعام في جو ضاحك، وكانت هادية تختلس النظرات إلى وجه أحمد المبتسم وهي تشعر بالدهشة العميقة.

وبعد الانتهاء من الأكل رفعوا الأطباق، واشترك الثلاثة في تنظيف المطبخ والمنزل في حين جلس أحمد في انتظارهم، حتى إذا ما انتهوا وقف أحمد فأسدل ستائر الغرفة، وأدار جهاز

التليفزيون الذي كان يقدم برنامجاً للمنوعات مملوءاً بالرقص والغناء الحديث الكثير الضوضاء.. ثم جلس أمام المائدة.. وقال لهم: هل تحبون لعب الكوتشينة!

كانوا مندهشين، ولكنهم جلسوا معه حول المائدة.. وقسم الورق عليهم، ثم وضعه أمامه وقال: الآن جاء أوان الحديث.

اقترب برأسه منهم وقال: هناك أمر يجب أن تعرفوه، وهو بداية الكلام، وانخفض صوته حتى أصبح همساً: إن أبي لم يمت!

وتنهد الثلاثة.. وهمس محسن كنت أعرف ذلك

وظهرت الدهشة على وجه أحمد وقال: كيف عرفت؟

محسن: لأنك لم تكن ممثلاً ناجحاً، لم يكن حزنك كبيراً لنقتنع بأنك قد فقدت والدم.

ضحك أحمد وقال: يا للأسف، لقد ضاعت آمالي في أن احترف التمثيل!

ممدوح: هذا من حسن حظ الجماهير

وهمست هادية بجدة: ليس هذا أوان الضحك.. أكمل يا أحمد

أحمد إنني لا أعرف الكثير، كل ما أعرفه أنني عدت يوماً إلى المنزل كما حدث لكم تماماً، كان والدكم معي في جولة في الأسواق.. عندما رأينا الدخان يتصاعد من البيت، أسرعت لأجد ولدي يكاد يفقد الوعي، احتضنته فأمسك بيدي، وضع فيها المفتاح، أوصاني أن أحافظ عليه جيداً، ثم فقد الوعي.. اتصل والدكم بالإسعاف والسفارة المصرية، في المستشفى ظل والدي فاقداً وعيه، حتى حضر موظف من مصر، على فكرة، إنه يعرفكم، وهو صاحب فكرة بقائي هنا، خاصة بعد أن علم بوصولكم، وقال إنكم أذكى من شرطة إيطاليا، وإنه مطمئن علي معكم!

تبادلوا النظرات.. ثم اتجهوا إليه صامتين

واصل أحمد كلامه: كان المخدر الذي استنشقه والدي شديداً، وقال الأطباء إنه سيبقى عدة أيام فاقد الوعي، وهنا قرر الموظف المصري إعلان وفاته، ونقله إلى القاهرة، وطلب مني التظاهر بالحزن، والبقاء لانتظاركم.. وقد وفقت في المحافظة على المفتاح كما أوصاني أبي، فلم أتركه من جيبي قط، وعندما شعرت بالخط وفقد الوعي، وضعته في جيب محسن

محسن: وقد وجدته فعلاً.. ونحن بدورنا نحافظ عليه!

وقص محسن على أحمد ما حدث منذ وصولهم، وزيارة المدعو فيصل لهم

وهز أحمد رأسه وقال: إن أبي لا يعرف أحداً بهذا الوصف، ولم يسبق أن زارنا شخص بهذا الاسم، ولكن كيف علم بوجود المفتاح معنا؟

هادية: إن هذا المفتاح يخفي سراً يخفيه والدك..

ويحاول البعض العثور عليه.. هل نعرف شيئاً عن هذا السر؟

أحمد: على الإطلاق.. فلم يسبق أن تحدث معي أبي عن شيء مثل ذلك من قبل!

محسن: إن والدك الأستاذ الدكتور عبد العزيز زاهر واحد من أعظم أساتذة العلوم في العالم.. وهو هنا أستاذ زائر في الجامعة بهذه الصفة.. فهل كان يقوم باكتشاف شيء خاص يهم أحد أن يعرفه؟

هز أحمد رأسه وقال: لا أعرف! ربما

محسن: لابد أن يكون الأمر كذلك.. وأن الحكومة المصرية تعرف أيضا، وإلا لما أعلنت وفاته خوفاً عليه من هجوم آخر.. ولما أرسلت مندوباً مصرياً خاصاً له.. وقد تركتك هنا، حتى تكون وسيلة لاكتشاف ما توصل إليه والدك.

وصمت أحمد

ممدوح: حسناً، ما الذي بيدنا أن نفعله الآن؟.

ولم يرد عليه أحد.. فقد انطفأت الأنوار فجأة، وصمت صوت التليفزيون، وساد الظلام التام، إلا من بقعة كبيرة من الضوء استقرت على المائدة.. وشعروا بأن هناك من يحيط بهم.. وجاءهم صوت ضخم يصيح بهم:

لا تتحركوا جميعاً، فوق رءوسكم مدافع رشاشة، ومسدسات كاتمة للصوت.. من الممكن أن تموتوا في لحظة، ولكم الخيار، إما تسليم المفتاح على الفور أو الموت، ولم يرد أحد، فعادت بقعة الضوء تطوف بوجوههم.. وجاءهم الصوت مرة أخرى: بعد دقيقة واحدة.. إذا لم تلقوا بالمفتاح على المائدة فسوف نقتل أولكم، ولتكم هذه الفتاة.. وبعدها بدقيقة نقتل منكم واحداً آخر.. وكل دقيقة تمر سيقتل فرد منكم.. وهذا الكلام ليس مجرد تهديد.. إننا لا نعبث.

وسمعوا صوت استعداد المسدس.. فصرخ ممدوح: كفى.. ها هو ذا المفتاح.. وألقى بالمفتاح على المائدة وصاح الصوت منتصراً: هذا أفضل لكم.. الآن لن يتحرك أحد منكم حتى آمركم بذلك وامتدت يد داخل قفاز أسود، أمسكت بالمفتاح، وصرخ أحمد لا.. لا.. وصاح فيه الصوت: أصمت!

ثم قال محدثاً شخصاً آخر معه: وسأراقب هؤلاء الأولاد.. وجربوا أنتم هذا المفتاح في المكان كله.

ولم ينطق أحد بكلمة.. اختنق الكلام في صدورهم.. وكان الرجل يدور بمدفعه البارد على رءوسهم ليشعروا بوجوده.. مرت دقائق طويلة قبل أن يعود أفراد العصابة فيهمسوا بكلمات للرجل فيقول: حسناً، لقد فزنا بالمفتاح وسوف نخضعه للفحص بالأشعة، ونسأل الكمبيوتر والآن اربطوا هؤلاء الأولاد جيداً، وأغلقوا أفواههم بالأشرطة اللاصقة.. وهيا بنا.

لعد لحظات كانوا أربعة من الأسرى.. أسرى القيود السميكة، والشريط اللاصق يخنق أفواه كل منهم، والظلام يحيط بهم، وأغلق أفراد العصبية الباب لكل قوتهم.. ومضوا مسرعين.

obeikandl.com

الفنان الغامض

لم يكن الأمر سهلاً بالنسبة لأحمد كاد يغمى عليه من الخوف والغضب، فقد اجتاحه الحزن والألم والثورة لفقد المفتاح.. وها هو ذا عاجز عن أن يأتي بحركة، وقد يظلوا في هذا المكان إلى أن يموتوا قبل أن يحضر أحد لإنقاذهم.

أما بالنسبة للمغامرين الثلاثة، فلم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتعرضون فيها لهذا الموقف، لقد كانوا واثقين من أنهم سيتمكنون من فك قيودهم بوسيلة ما، فقط عليهم أ، يفكروا ماذا عليهم أن يفعلوا كان أكثرهم تفاؤلاً هو ممدوح، فقد استعمل عضلاته القوية نتيجة للرياضة التي يمارسها، فشد عضلاته بقوة وهم يربطونه، حتى أن شدة الرباط قد خفت كثيراً بعد أن ترك جسمه في حالته الطبيعية مرة أخرى.. أما خطته الناجحة فكانت عندما أتى دوره لوضع الرباط اللاصق على فمه، وجاءهم صوته وكأنه نجدة من المساء وهو يقول: اطمئنوا، لقد تمكنت من التخلص من رباط الفم، وسأحاول الخلاص من القيود.

ولم يكن الأمر سهلاً هذه المرة، فقد كان الظلام شديداً، ولم يمكنه أن يرى في المكان شيئاً يستفيد به أو يساعده في قطع القيود.. وشعر بحركة محسن بجواره، وهو يحاول تحريك مقعده ليقترب منه

وفهم ممدوح ما يقصده محسن فأخذ يحاول الحركة حتى سقط بالكرسي على الأرض، وراء محسن تماما، وتحسس الأرض برأسه حتى شعر بالكرسي، ورفعها أكثر وهو يحاول بكل جهده أن يتصور وضع القيود حتى لمسها بأنفه، فابتسم، ورفع رأسه أكثر حتى شعر بعقدة القيود وأعمل أسنانه فيها.. ولم يكن الأمر سهلاً، ولكم ممدوح لا يعرف اليأس.. كان ينتظر قليلاً حتى يتنفس ثم يعود إلى العمل مرة أخرى، دقيقة بعد أخرى، حتى شعر بالقيود تستجيب لأسنانه، وبعد بضع محاولات ينجح ممدوح في تحرير يدي محسن من القيود أخيراً، وأصبح كل شيء سهلاً بعد ذلك، فقد تمكن محسن بعد أن تحررت يداه من أن يفك قيود رجليه، ثم أضاء النور، وانحنى بسرعة لتحرير ممدوح من قيوده، وأسرع ممدوح إلى أحمد في حين أسرع محسن إلى هادية.

وفجأة وعلى غير ما توقعوا بعد أن تحرر أحمد من القيود التي كانت تقيده إذا به يهجم على ممدوح منقضاً عليه صائحاً: خائن.. خائن.. خائن..

وأسرع محسن إليهما يفض هذا الاشتباك المفاجئ.. وقد أخذتهم جميعاً الدهشة.. وإذا بصديقهم أحمد يسقط على المقعد وهو يبكي بعنف، حتى كأنه على وشك الوقوع في نوبة من نوبات الانهيار العصبي.

التفوا حوله، وأخذوا يسألونه عما به، أجاب من بين الدموع وهو يشير إلى ممدوح: المفتاح.. المفتاح.

وانفجر ممدوح ضاحكاً، وسقط على المقعد وهو يواصل الضحك، وتحولت نظرات الدهشة إليه.. وقال ممدوح أخيراً: هل هذا ما يجعلك تبكي؟ المفتاح.. إنه مجرد مفتاح.

صرخ أحمد: نعم المفتاح، لماذا أعطيتهم إياه إنها خيانة، خيانة!

وخشى ممدوح على أحمد من الانهيار مرة أخرى قال له: أرجوك، لا تغضب اهدأ.. اهدأ يا أحمد.. هذا هو المفتاح.

ومد يده إلى جيبه الداخلي، وأخرج منه المفتاح الأسود الكبير، وقدمه إلى صديقه.. وزادت الدهشة.. واجتاحت الحيرة الجميع، فرفع ممدوح يده إليهم مهدئاً وقال:

سوف أشرح لكم كل شيء.. لقد توقعت أن يعود اللصوص، ويطالبونا بالمفتاح، وخشيت أن يستعملوا القوة، ولا يكون أمامنا سوى الاستسلام، قرأت عن سوق بروتاريزي فكرت في فكرة، عندما تركتكم في الصباح ذهبت إلى السوق، فوجدت هناك – كما توقعت – صانعي المفاتيح، وتمكنت من صنع مفتاح مشابه تماماً للمفتاح الحقيقي، فقد اختلفت أسنانه بعض الشيء عن المفتاح الأصلي، ووضعت المفتاح الحقيقي في جيبي الداخلي، وعندما حضروا، حدث ما رأيتم، وكانت كل توقعاتي صحيحة.

وانقلب الحزن إلى فرح، وارتفعت ضحكاتهم وصيحاتهم.. واتجه احمد إلى ممدوح يعتذر له بحرارة، ولكن ممدوح ضحك وقال: إنها غلطتي كان يجب أن أخبركم بالحقيقة، ولكني خشيت أن يبدو عليكم أي حركة تجعلهم يشكون فينا!

صاحت هادية: الآن نعترف بأن عقل ممدوح أفضل من عضلاته.

قال ممدوح: ولكن معدته، إنها تنادي الطعام، الطعام!

اتجه أحمد إلى التليفون وقال: أنا مدين لك بالكثير، ولذلك سأطلب لك من مطعم قريب أشهر فطائر في روما.. بيتسا من ألذ ما ذقت في حياتك

ممدوح: إذن اطلب أكبر كمية ممكنة!

وفي انتظار وصول العشاء.. جلسوا يتبادلون الأحاديث والآراء.. والتي اجتمعت على أنه لا فائدة لأي شيء إذا لم يتوصلوا إلى مكان الباب الذي يفتحه هذا المفتاح.. وأمسك محسنة به.. أخذ يقلبه في يديه.. ويقربه من الضوء، ثم عاد يجلس والمفتاح أمامه ساد الصمت.. وغرق كل منهم في أفكاره..

وظل محسن يحرك المفتاح في يده.. ثم اعتدل وأخذ يدير رأس المفتاح بيد، في حين كانت يده تمسك بأسفل المفتاح بقوة، وإذا بالمفتاح ينفصل إلى قسمين، ويسقط منه مفتاح رقيق، يماثل الأول في الشكل، غير أنه رقيق تماماً في رقة الورقة، والرأس المثلث مرسوم عليه رأس أبي الهول، وفي داخلها كتابة دقيقة غير واضحة.

كان هذا اكتشافاً مذهلاً، حتى إنهم تسمروا في أماكنهم لحظات، ثم اندفعوا يحيطون بـ محسن.. الذي كان يمسك المفتاح مبتسماً، قال محسن كنت أعلم أنه لا يمكن أن توجد خزانة أو دولاب لحفظ أشياء هامة ولها هذا المفتاح الضخم، ولكن إذا كان المفتاح له كل هذه الأهمية فلابد أن به سراً، ولذلك حاولت أن أعثر على شيء به.. وها نحن قد نجحنا..

وأمسك كل واحد منهم بالمفتاح يحاول قراءة المكتوب عليه.. ولكن عبثاً.. فقد كانت الكتابة دقيقة جداً.. وصغيرة جداً.. وأخيراً صاح أحمد انتظروا، إن لدى والدي عدسة مكبرة، يمكننا أن نقرأ بها المكتوب.

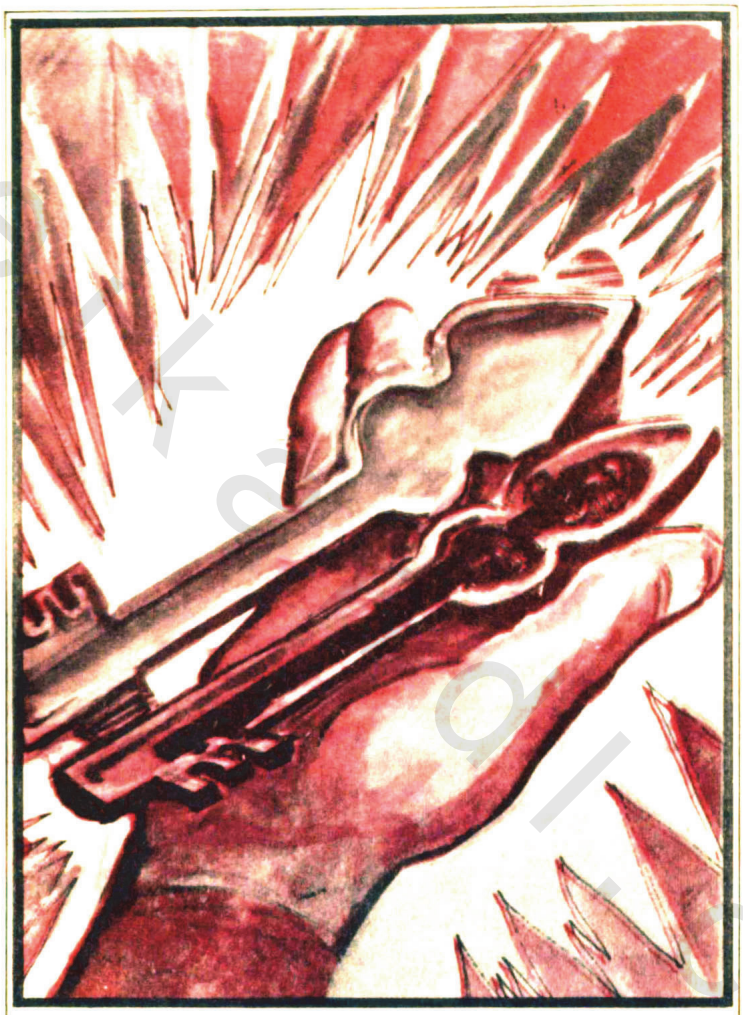

وكانت المفاجأة ! انفصل المفتاح إلى قسمين . وبداخله مفتاح رقيق

وأسرع إلى غرفة المكتب، وعاد بالعدسة، وقربوها من رأس المفتاح وكانت الحروف مقروءة تماما "ت.. ي.. و.. ل.. ي) مكتوبة باللغة العربية الواضحة، نقلوها على ورقة، وعادوا ينظروا إليها.

تساءل ممدوح: هل الحروف تكون كلمة واحدة؟

هادية: لست أدري، ربما كان كل حرف فيها أول حرف من كلمة كاملة، تكون جملة، وربما كانت كلمة واحدة: تيفولي ما معنى هذه الكلمة؟

أحمد: لا أعلم.. ربما كانت كلمة حقاً ولكن حروفها مبعثرة!

حاول كل منهم ان يعثر على كلمة من الحروف الغريبة، ولكن بدون جدوى

قال محسن: ها هو ذا اللغز يزداد تعقيداً

هادية: هل نترك اليأس يتغلب علينا؟ أبداً.. سوف نجد طريقة لحل هذه الألغاز

ممدوح: هيا.. اعثري لنا على الطريق.. هل أطلقنا عليك اسم "ملكة التخطيط" بدون فائدة؟

أمسكت هادية بقلمها وأوراقها وقالت: قبل أن اضع خطة، عندي بعض الاستفسارات أريد من أحمد أن يجيب عنها: أولاً، لماذا قلت للضابط إن زجاجة سقطت من يدك كان بها مخدر، ولم تخبر أحد بحقيقة ما حدث لك؟

احمد لقد نصحني المندوب المصري من عدم ذكر أي شيء للشرطة الإيطالية، وكان ذلك عندما تعرض أبي لمثل ما تعرضت له، وقد عملت بنصيحته أبي لمثل ما تعرضت له، وقد عملت بنصيحته، ولعلكم تعلمون أن الشرطة هنا تخشى كثيراً من العصابات الدولية والمسماة بالمافيا لأنها قوية وخطيرة، والشرطي الذي يتعرض لها، قد يعود ليجد أسرته أو أحد أفرادها وقد أصيب أو اختطف، واعتقد أن هذا هو السبب في منعي من الاتصال بالشرطة حتى لا أتعرض للخطر؟

هادية: إذن هناك احتمال تدخل عصابات خطيرة، وهذا معناه أننا أمام قضية ضخمة، ماذا حدث لك أنت بالضبط؟

أحمد: ما حدث لي لم يتعد لحظات سريعة.. فقد سمعت طرقاً على الباب، قمت لأفتح جزءً صغيراً وإذا بطلقة تندفع، سمعت سوت ارتطامها بالحائط، تماما مثل صوت البمب الذي يلعب به الأطفال، التفت خلفي، فوجدت الدخان الكثيف ومن حسن الحظ أنكم دخلتم بعد لحظات، فاستطعتم إنقاذي قلا أن استنشق قدراً كبيراً من هذا الغاز المخدر.

هادية: الآن: سوف أترككم تحاولون اكتشاف معنى الكلمة الغريبة وأنا ذاهبة لأستريح في حجرتي قليلاً.

ممدوح: أما رأيي فهو أنت لها التفكير ونقطع الوقت باللعب بالكوتشينة.

بعد قليل، رجعت هادية وقالت: لقد استطعت تجميع أفكاري، وسأخبركم بما فكرت فيه، ومن كانت له ملاحظة فسوف نضيفها

في البداية: إن الأستاذ عبد العزيز زاهر عالم كبير في الكيمياء وأعتقد أنه يجري تجارب أو دراسات مهمة وسرية للغاية، حتى أنه لم يذكر لابنه أحمد شيئاً عن هذه الأبحاث.. ويبدو أن عصابة خطيرة علمت بهذا السر، وهي تحاول العثور عليه، وقد أخفى الأستاذ زاهر هذه الأبحاث في مكان مجهول.. لا تعرفه العصابة حتى الآن، ولكنها تعرف بوجود مفتاح هذا المكان، ولذلك فقد حاولت العثور على مفتاح، والمفتاح كشف لنا عن مفتاح آخر مخبأ في قلبه بطريقة ذكية، دلالة على أهمية السر الخفي الذي أخفاه الأستاذ زاهر، ولكن وصول والدي وأحمد في وقت تخديره بالضبط أفسد وعليهما خطتهما، خصوصاً أنه قد أعلن عن وفاته، ولذلك حاولت تخدير أحمد و وخطفه.. أوم التوصل إلى المفتاح، ومرة أخرى أفسد وصولنا هذه الخطة.. فلم تجد مفراً من مهاجمتنا للوصول إلى المفتاح.

محسن: رائع.. أكملي!

أدارت هادية أنظارها بينهم ثم واصلت الكلام: ويبدوا أن العصابة، حتى بعد أن استولت على المفتاح، لا تعرف مكان السر.. بدليل أنها حاولت العثور عليه هنا، ولكنها فشلت لسبب بسيط هو أن المفتاح مجرد غلاف للمفتاح الحقيقي.. والعصبة لا تعرف ذلك، ولهذا قررت فحص المفتاح بالأجهزة الإليكترونية،.. وربما اكتشف زيف المفتاح وهن لا بد أن تعود إلينا فما رأيكم؟

ممدوح: لي ملحوظ.. لماذا تقررين أن الشيء المختفي هو سر علمي، ولماذا لا تكون مجوهرات ثمينة مثلاً، أو أموالاً طائلة!

انفجر الجميع ضاحكين وأجابه محسن: ملاحظة غير معقولة، هل تتصور عالماً مثل الأستاذ زاهر يخفي أموالاً أو مجوهرات!

أحمد: من أين لنا هذا يا عزيزي ممدوح؟

ممدوح: إنه مجرد سؤال.. ما العمل الآن؟

هادية: الحل كله يدور حول سؤال واحد.. أين المكان الذي أخفى فيه الأستاذ زاهر أبحاثه، وكيف نصل إليه سريعاً قبل أن تعود إلينا هذه العصابة القاتلة؟

محسن: لقد وضعت تصوراً كاملاً للغز، يا ملكة التخطيط، وبدوري أقترح أن نبحث في المنزل الآن عن هذا المكان، فنحن قد حاولنا بالمفتاح الكبير، ولم نبحث بالمفتاح الحقيقي!

هادية: نعم، هذا ما يجب أن نفعله فوراً، سوف نبحث في كل مكان، ولاحظا أن المفتاح يدخل في شق رفيع وليس في باب أو دولاب!

واندفع الجميع يقفون مستعدين للعمل، وقد اشتد حماسهم، وقال أحمد: لن نترك شقاً في حائط أو أرض أو قطعة أثاث، إلا بحثنا فيه.

أضاءوا أنوار المنزل كلها، بعد أن أسدلوا الستائر وأغلقوا النوافذ، وأخذوا يبحثون في كل مكان.. فريق من الكشافة المهرة، يتحسسون الحوائط وجوانب الأثاث، وأسفل المقاعد والمناضد، في المطبخ.. في الحمام.. في كل مكان.. ولكنهم لم يجدوا شيئاً، وأخيراً وصلوا إلى حجرة المكتب، قال ممدوح أعتقد أننا سنجد هنا المكان المطلوب، كان يجب أن نبحث أولاً في المكتب!

أحمد: لا أعتقد أن أبي أذكى من ذلك، فحجرة المكتب طبعاً هي المعرضة لأي تفتيش أو هجوم!

وانقضوا على الحجرة الأخيرة، يبحثون وراء المكتب، وداخلها، ورفعوا السجادة عن الأرض وبحثوا فيس الحوائط.. ومرة أخرى لم يجدوا شيئاً.

قال محسن وهو يقف أمام مكتب الأستاذ زاهر: أليس غريباً أن كل هذه الكتب موجودة على مكتب الأستاذ، وليس بها أو حولها ورقة واحدة مكتوبة بخط يده؟

اندفعوا إليه، أحاطوا بالمكتب، حقيقة أنه لا يوجد حرف واحد مكتوب باليد، وإنما مجرد كتب بلغات متعددة: إنجليزية وفرنسية، وإيطالية وألمانية.

قالت هادية: إن هذا يؤكد خطورة الأبحاث التي يقوم بها، فهو حريص على ألا يترك ورقة واحدة تشير إلى أعماله.

ممدوح:م ولماذا لا يكون له مكان آخر يقوم فيه بأبحاثه!

أحمد: مستحيل: فوالدي يقضي يومه في الجامعة، ثم يعود إلى هنا مباشرة!

ممدوح: ربما كان يكتب في الجامعة!

هادية:م غير معقول، إذا كان حريصاً على ألا يكتب في بيته، فهل يكتب في الجامعة المفتوحة لكل إنسان؟

كان محسن ينظر في الكتب، لا يفهم فيها شيئاً.. فكلها كتب متخصصة في العلوم والكيمياء.. وعلى غير انتظار، وجد جريدة مطوية موضوعة بين الكتب، نظر إليها.. ثم قال لأحمد: هل تقرأ الإيطالية جيدا؟

أحمد: بقدر الإمكان.. أستطيع أن أفهم ما أقرؤه.

مد محسن يده بالجريدة إليه وقال: هل بها شيء مهم؟

وضعها أحمد مفتوحة على المكتب ونظر إليها.. ثم صاح: هذا الرجل وأشار بيده إلى صورة وسط تحقيق صحفي كبير.

قال: هذا الرجل.. الأستاذ جيوفاني ريالتو رأيته مع والدي أكثر من مرة، بل هو الوحيد الذي زارنا هنا أول ما وصلنا!

سألته هادية باهتمام: ما هو المكتوب عنه؟

أخذ أحمد يقرأ في صمت، وهم ينظرون إليه بصبر نافذ، وأخيراً نظر إليهم بوجه مكتئب وقال بصوت مرتعد: لقد اختفى!

صرخوا فيه: ماذا تقول.. أين ومتى وكيف؟

أشار لهم بيده ليصمتوا، وجلس على مقعد قريب وقال: قبل الحادث الذي تعرض له أبي بيومين، فهذا تاريخ الجريدة، وجدوا منزله قد تعرض لتفتيش صارخ.. وذكرت سيدة كانت تنظر إلى المنزل من بعيد، أنه قد خرج محمولاً على نقالة بعربة إسعاف، ولكن المستشفيات كلها أنكرت وجوده.. ولذلك أعلنت الشرطة أنه قد اختطف.

هادية: لماذا؟ أليس هناك في الجريدة ما يشير إلى السبب؟

هز أحمد رأسه وقال: لست أدري، فأنا لم أتقن قراءة الإيطالية تماماً، هنا فقرة تتحدث عن تخصصه وأعماله.. ولكن لا أفهم منها شيئاً.

نظر بعضهم إلى بعض في دهشة.. ففي كل لحظة تزداد الأحداث ويزداد اللغز غموضاً، وكان محسن غارقاً في النظر إلى الفقرة العلمية التي ذكرها أحمد ثم أشار بيده إلى كلمة وقال: أحمد اقرأ معي.. أليست هذه كلمة نيوترون؟

احمد: نعم.. ولكني لا أفهم معناها ولا الكلام الذي حولها.. ربما كلما قنبلة قبلها.

محسن: يحتمل أن المقصود بها أبحاث علمية للتوصل إلى صنع قنبلة النيوترون

أخذ أحمد يدقق في الكلمات ثم أحضر قاموساً، وحاول ترجمة كلمة بعد أخرى ومحسن يساعده حتى قال: هذا صحيح الفقرة تحتوي على جملة عن صنع قنبلة النيوترون!

ممدوح: ما معنى ذلك؟.وما هي هذه القنبلة؟

أجاب محسن: إنها أحدث وأخطر قنبلة في العالم.. وخطورتها في أنها لا تحدث آثاراً في المباني والمنشئات، وإنما تقتل الأحياء فقط، وفي مساحات شاسعة من الأراضي، لا تبقي فيها شيئاً على قيد الحياة وهي تطلق بصاروخ إلى مدى بعيد جداً!

هادية: لقد قرأت أن المظاهرات قد قامت في دولة عديدة من أوروبا ترفض وجود هذه القنبلة.

محسن: فعلاً: هذه القنبلة أمريكية الصنع، وقد رفضت شعوب أوروبا أن تسمح لأمريكا باستعمال قواعدها الصاروخية في بلادهم لكي تطلقها منها!

ممدوح: وما صلة هذا بقضيتنا؟

هادية: صلة واضحة طبعاً، فإذا كان الأستاذ جيوفاني يحاول الوصول إلى اكتشاف أسرار تصنيع هذه القنبلة، وهو صديق الأستاذ زاهر وقد اختطف على ما يبدو، وبنفس الطريقة التي حاولوا خطف عالمنا المصري بها، فلابد أن هناك صلة بين العالم الإيطالي والمصري، صلة علمية بالتأكيد، وهي اكتشاف قنبلة النيوترون!

أحمد: أعتقد أنه كلام صحيح، لقد كان والداء يردد دائماً، إن مصر يجب أن تحصل على أحدث الأسلحة، وليس من الضروري أن تستعملها، وإنما مجرد وجودها لديها يمنع أي معتد منم محاولة الاعتداء عليها.

محسن: هذه نظرية صحيحة.. وإذا كان قد توصل إلى هذا الاكتشاف، فيجب أن نبعده عن العصابة بأي ثمن.

هادية: إنها مسألة وطنية خطيرة، ما العمل؟ يجب أن نتحرك.. لقد توصلنا إلى حقيقة السر الذي يخفيه الأستاذ زاهر ولكن.. أين يخفيه؟ فكروا جميعاً، أين يمكن أن يخفي أبحاثه الثمينة.

ظهرت الحيرة في عيونهم، ونظر بعضهم إلى بعض في قلق وخوف، إنها المرة الأولى التي يفضلون فيها في حل قضية تصادفهم.

محسن: أحمد تذكر منا، هل هناك مكان لم نبحث فيه؟

احمد: لا.. لقد بحثنا في كل مكان.. وتردد قليلاً ثم قال: ما عدا.. ما عدا "دولاب" والدي فيه ملابسه فقط، لم أفتحه أو ابحث فيه!

هادية: ولكن يمكنك أنت أن تبحث بنفسك يا أحمد.. لن يشترك أحد منا معك.. فنحن نعلم أن الدولاب الخاص لا يجب أن نبحث ما في!

قام أحمد من مكانه مسرعاً وبعد دقائق..صاح: تعالوا.. بسرعة.. انظروا!

واندفع الجميع إليه في لحظة.. توقعوا أنه وجد مكان الأبحاث، ولكنه كان يقف أمامهم، وفي يده حقيبة سفر جلدية صغيرة، فتحها، وأخرج منها بعض الأشياء الغريبة.

كان في يده باروكة من الشعر الأبيض والأسود تغطي الأذنين، ونظارة طبية سوداء، وشارب من لون الباروكة، ثم وجد بنطلوناً رمادياً وبلوفر أسود، وقميصاً من الكاروهات الحمراء والسوداء.

وعاد أحمد يمد يده داخل الدولاب ويخرج لوحة مرسومة بالألوان أكثر غرابة، بها رسم لرأس أبي الهول، وحولها سبعة من عيون الماء أو النافورات، تتصاعد منها المياه المتعرجة، حتى تكاد تغطي اللوحة.

أشار أحمد إلى الحقيبة واللوحة وقال: آخر ما كنت أتوقع أن أجده هنا!

وأمسك محسن باللوحة، ونظر إليها مشدوهاً وسأل أحمد هل والدك يهوى الرسم؟

أحمد: أبداً، إنه لا يجد وقتاً ليرسم أي لوحة، ولم أره يرسم إطلاقاً! ضحك ممدوح وهو يضرب كفاً بكف وقال: كلما خطونا خطوة، عثرنا على ما يزيد الموقف تعقيداً!

قالت هادية: ربما، وربما كان ذلك دليلاً على أننا على الطريق الصحيح، والتفتت إلى أحمد وقالت: لقد قلت إن والدك يذهب إلى الجامعة ويعود إلى المنزل مباشرة، ماذا يفعل في إجازة الأسبوع؟.

أحمد: مدهش..تصوري، لقد كان عام كامل ينقضي وأنا لا أعراف شيئاً عن هذا، إن الإجازة الأسبوعية هنا يومي السبت والأحد.. وفي المعد الذي التحقت به نقضي الإجازة كاملة في رحلة أسبوعية باعتبارها جزءاً من البرنامج الدراسي لتقوية اللغة لذلك أترك والدي صباح السبت، و"أعود مساء الأحد، وهو دائماً يكون في المنزل عندما أخرج، حين أعود.

obeikandl.com

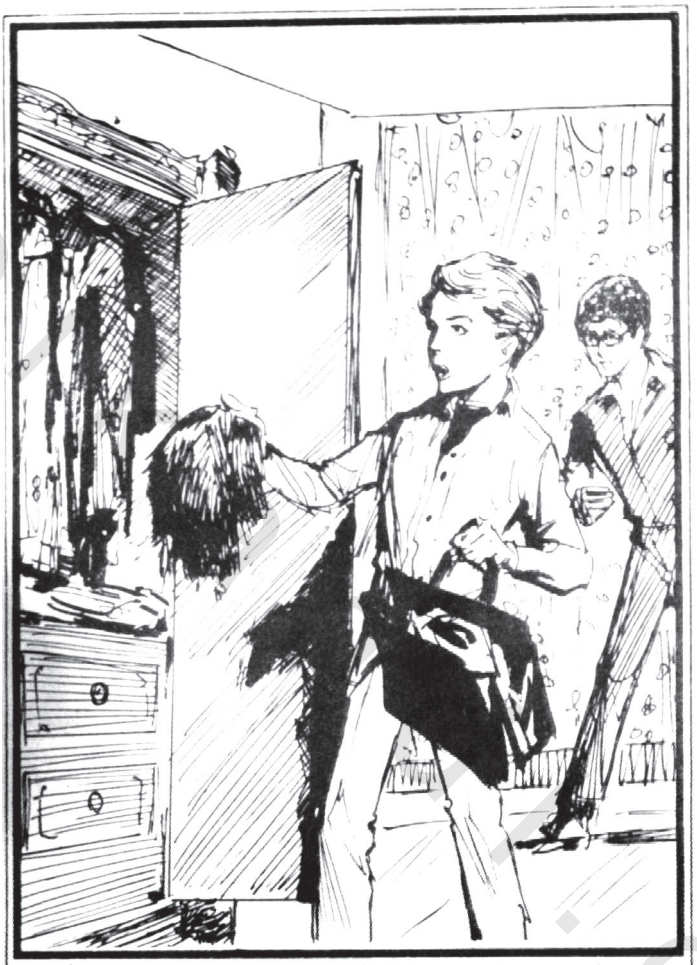

صاح احمد : تعالوا .. انظروا .. وكان فى يده حقيبة جلدية صغيرة فتحها واخرج منها بعض الأشياء الغريبة

هادية: ولكنك لا تعرف ماذا يفعل هذه الأثناء؟

أحمد: لا.. حقيقة لا أعرف

تثاءب ممدوح وقال وهو يمسك بالباروكة في يده: ملابس غريبة، وكأنها لفنان من العصور الوسطى.

محسن: اسمعوا، لقد كاد الليل ينتصف، وقد قضينا يوماً شاقاً، مملوءً بالأحداث، يجب أن تنام الآن.. وغداً تكون أكثر نشاطاً.

صاح ممدوح: هذا أعظم اقتراح سمعته اليوم

تبعتهم هادية وهي تقول: غريبة ملابس غر

تبعتهم هادية وهي تقول: غريبة، ملابس غريبة، تصلح لفنان غامض، لماذا يحتفظ بها الأستاذ زاهر في دولابه؟

وعندما ألقت برأسها على الوسادة كان السؤال.. مازال يتردد في رأسها، وحتى بعد أن استغرقت في النوم.. كانت أحلامها تدور حوله طوال الليل، وحتى الصباح؟

opeikandl.com

المياه الراقصة

استطاع النوم أن يعيد الهدوء والابتسام إلى وجوههم، فاستيقظوا وقد استعادوا نشاطهم وحيويتهم، وتطوع أحمد و ممدوح بإعداد الإفطار، في حين جلس محسن مع هادية يتشاوران.

هادية

وحول الشاي الساخن والفطائر اللذيذة.. سألت هادية أحمد عن صورة لوالده.. وأسرع أحمد إلى غرفته ليعود بصورة كبيرة في إطار فخم، وقال بزهو: ها هو ذا الأستاذ العظيم: عبد العزيز زاهر"!

قالت له هادية: أنت رسام بارع، ودائماً تتغلب علينا وتحصل على أعلى الدرجات في الرسم.. هل تستطيع أن ترسم صورة متقنة لوالدك؟

ضحك أحمد وقال: إن عندي صورة كاملة رسمتها بنفسي من قبل.

ومرة أخرى أسرع يعود بالصورة المرسومة وصاح محسن رائع، إنها صورة طبق الأصل؟

أحمد: طبعاً، ظللت أرسم فيها مدة شهر كامل، وضحكت هادية وقالت: وهل كنا سننتظرك شهراً، إننا نريدها في دقائق.. ولكن أرجو ألا تغضب، فنحن نريد أن نضيف إليها بعض الأشياء!

وأخفى أحمد الصورة خلف ظهره وقال: ماذا، هل تريدون تشويه الصورة؟ أجابه محسن بصبر نافذ: يمكن أن ترسم غيرها، ولكننا نريدك أن تضيف لهذه الصورة رسما للباروكة والشارب والنظارة، وأيضاً القميص الكاروهات والبلوفر!

نظر إليهم غاضباً، ثم جلس أمام الصورة مستسلماً.. ووضع ممدوح الباروكة فوق رأس احمد وأحضر أمامه مرآة وقال: إنك تشبه الأستاذ زاهر كثيراً، لعل هذا الوضع يساعدك!

ولم يرد احمد فقد وجد أنه لا فائدة من الرد على المغامرين الثلاثة، فهم ينفذون كل ما يريدون وأمسك أقلامه وبدأ العمل.

بعد ساعة كاملة انتهى من عمله، وأمسك بالرسم ورفعه أمامه، كان الشكل الآن مختلفاً تماماً، فقد أخفت الباروكة والنظارة والشارب ملامح الوجه تماماً، في حين غير القميص والبلوفر شخصية العالم الأستاذ، وظهر مكانها فنان غريب الشكل، وكأنه يؤمن حقاً بأن الفنون جنون!

obeikandl.com

وضع ممدوح الباروكة فوق رأس أحمد وأحضر أمامه مرآة..

وقال أحمد مستنكراً: هل تتصورون أن هذا الفنان هو والدي!

خطفت هادية منه الصورة وقالت: أنا لا أتصور، وإنما متأكدة تماماً.. والآن سوف نخرج في جولة طويلة سياحية، حول هذا الحي الهادئ أولاً، وبعدها نرى ما يمكن عمله

خرجوا إلى الطريق الذي تملؤه الأشجار الخضراء بظلها المريح، ونسيم الصباح مازال يملأ الكون حولهم.. ولم تحول روما بعد إلى جو الحرارة المرتفع.

وقال محسن وهو يشير إلى محل بعيد: هل هذه مكتبة؟

قال أحمد نعم، إن صاحبتها سيدة عجوز ظريفة، اسمها كلوديا، وأنا زبون دائم عندها أشتري منها كل أدواتي!

هادية: تعالوا نشتري منها بعض البطاقات نرسلها إلى الأصدقاء في القاهرة!

واتجهوا إلى المكتبة.. كان العمل في الصباح هادئاً.. والمكتبة خالية.. وقامت كلوديا إليهم مرحبة، وأخذوا يتجولون في المكتبة، ويختارون، وينظرون إلى الكتب ويقلبون في نماذج الصور العالمية الشهيرة، وتوقف محسن أمام أنابيب وألوان الأقلام، ومعدات الرسم من الورق واللوحات.. وقال لصاحبة المكتبة: هل لديك مجموعة كبير من أدوات الرسم؟

ضحكت وقالت: طبعاً، إن الشعب الإيطالي شعب فنان.. نحن مشهورون بالموسيقى والرسم والنحت، وكل أنواع الفنون!

قال محسن: هل يشتري منك الفنان هذه الأدوات؟

كلوديا: طبعاً! الكثيرون يعتقدون أنهم فنانون كبار والحقيقة أن الكثير منهم يعرفون الرسم، ولكنهم لا يرقون إلى مرتبة الفنانين!

هادية: إنك فنانة، أليس كذلك؟

ضحكت كلوديا وقالت: لا، ولكني أحب الفنانين، وأعيش دائماً في عالم الفن!

فجأة أخرجت هادية الصورة التي رسمها أحمد وقالت: هل ترفين هذا الفنان؟

من أول نظرة قالت كالوديا: هل تعرفونه أنتم؟ إنه عميل دائم لأدوات الرسم عندي، وهو متحدث لبق، كثيراً ما تبادلنا الأحاديث الشيقة، إنه عربي مثلكم، من الجزائر..اسمه بوعامر ولكنني لم أره هذا الأسبوع، أرجو ألا يكون مريضاً لو كنت أعرف عنوان مسكنه لسألت عليه!

أخرج محسن لوحة أبي الهول وعيون المياه وقدمها للسيدة وقال لها: هذه هي إحدى لوحاته.

نظرت إليها مستنكرة وصاحت" غير معقول، إن صاحب هذه اللوحة لا يفقه حرفاً في فن الرسم.

ضحكوا جميعا، بصوت عال.. واعتذر ممدوح قائلاً: إن صوتنا مرتفع أليس كذلك؟ نحن متأسفون!

قالت: لا عليك، ليس أعلى من صوت الشعب الإيطالي!

قال أحمد: هذه حقيقة، إنهم كلهم هنا يغنون ويرقصون.. الأطفال ترقص، والبنات ترقص والأولاد يرقصون.

وأشار محسن إلى اللوحة وقال: وحتى المياه هنا ترقص!

صاحت السيدة: لا تتصورا مبالغة في ذلك يبدو أن فنانكم الفاشل قد زار منطقة المياه الراقصة إنها خمسمائة نافورة مذهلة الجمال، ألم تروها بعد؟

سألوها في صوت واحد: أين؟

نظرت إليه مندهشة وقالت: هل معقول أنكم في روما، ولم تشاهدوا نافورات تيفولي حتى الآن.. إنها أجمل منطقة في العالم.. وجاءت كلمة تيفولي كالتيار الكهربائي الذي اصطدم بعقولهم فجأة.. تيفولي، وتيفولي.. الكلمة الغامضة: نظروا إليها في فضول ودهشة، وأغلقوا أفواههم بشدة حتى لا تخرج منها كلمة تفشي سرهم..

وأخيراً سألها محسن: هل يمكن أن نراها اليوم؟

قالت لهم: طبعاً، إنها ضاحية سياحية رائعة

تبعد عن روما حوالي ٣٠ كيلو متر، يمكنكم الوصول إليها بالأوتوبيس من ستازيوني تيرميني، إنها أجمل حديقة في العالم بخضرتها ونافورتها.. ولكن تبدأ زيارتها في الساعة والنصف مساء، حينما تضاء النافورات والقصر المطل عليها بالأضواء الجذابة.

شكروها بحرارة، وعادوا إلى الطريق

قال ممدوح: مفاجأة لم تكن على البال!

أحمد: أعتقد ذلك، إن محسن وهادية ذهبا إلى المكتبة وهما يعرفان ما يبحثان عنه.

محسن: طبعاً، إن التخطيط هو الخطوة الأساسية للوصول إلى النتائج السليمة، من البديهي أن الفنان يشتري أدوات للرسم.. وهذه أقرب مكتبة له، فلابد أنه قد تردد عليها، ومن هنا تأكدنا أن الأستاذ زاهر هو نفسه الفنان الجزائري.

هادية: ولقد نجحنا بالحديث في معرفة المكان الذي يرسمه، إن النافورات الراقصة عرفتها كلوديا وذكرت لنا ما فسر غموض المفتاح، إن تيفولي هي الكلمة الغامضة على المفتاح المجهول وتيفولي هي المكان الذي به المياه التي رسمها الأستاذ زاهر.. إذن هي المكان الذي يجب أن نبحث فيه عن سر المفتاح!

قال ممدوح مستنكراً: هل معنى ذلك أن نبحث في ضاحية بها قصر وخمسمائة نافورة؟

صاح محسن غاضباً: ماذا دهاك.. هل تعتقد أن الأستاذ زاهر كان يعمل في الطريق العام.. لابد أن له مكاناً محدداً هناك، وسوف نبحث عن هذا المكان.

ممدوح:آسف، معك حق.. والآن، أين نذهب هل سنعود إلى البيت؟

في هذه المرة صرخ فيه أحمد ماذا حدث لك؟ هل عدت تفكر بعضلاتك؟؟ هل تريدنا أن نعود إلى البيت لنصبح عرضة لزيارة أعضاء العصابة؟

نظر إليهم ممدوح في غضب، وصمت قليلاً ثم قال: ما الذي حدث لكم جميعاً اليوم؟ لماذا تصرخون كلكم في وجهي حسنا، لن أتحرك من مكاني حتى أعرف أين سنذهب.

وقفز برشاقة إلى سور منزل قريب، وجلس عليه صامتاً.. ضحكوا بمرح.

وقالت هادية: اطمئن، سوف نذهب إلى أكثر الأماكن ازدحاماً بالناس، حتى لا يصل إلينا أحد إذا كانوا يتبعون آثارنا، ومن أجل سنختار أحسن مطعم في روما لنتناول أشهر غداء تناولته في حياتك!

ممدوح: إذا كان الأمر كذلك، فلا مانع؟

وقفز إلى الأرض وساء أمامهم مرحاً

كان الوقت طويلاً أمامهم، ولكنهم أخذوا يقضونه في التنقل من مكان إلى آخر، وكأنهم مجموعة من السياح الصغار.. وكانوا يقفوا أمام التماثيل التي تملأ ميادين روما، والنافورات الجميلة في كل مكان، ينظرون إليها بإعجاب، ويلتقطون الصور التذكارية ويتضاحكون، ويجرون

ويتسكعون هنا وهناك حتى حان وقت الغداء، فاختار لهم أحمد مطعماً راقياً وقطعوا وقتاً طويلاً في تناول الطعام، وخرجوا يضحكون على المبلغ الضخم الذي دفعوه.. وتنقلوا بين المحال الضخمة يشترون بعض الهدايا الصغيرة، وكان ممدوح يضعها في حقيبة الكشافة التي يحملها على ظهره.. حتى انتهى الوقت تقريباً، واقتربت الساعة من الساعة السابعة عندما وصلوا إلى محطة الأوتوبيس المتجهة إلى حدائق تيفولي وكان الجمهور المتجه إليها كبيراً ومن مختلف الجنسيات، ولكنهم تكمنوا من حجز أماكن لهم، واستقروا في العربة التي بدأت رحلتها اليومية.

وانقضت ٤٥ دقيقة كاملة، كانت السيارة تصعد بهم طرقاً جبلية، شديدة الارتفاع، ولكن السائق كان يقود فيها الأوتوبيس ببراعة ملحوظة، حتى وصلوا أخيرا.. وكانت الأضواء الساطعة تلمع في المكان، والضحكات تتصاعد من الجمهور السعيد والسياح الغرباء.

وتوقفوا، ونظروا حولهم.. كان الجميع يتجهون في طريق واحد.. والإشارات المكتوبة والمعلقة تشير إلى اتجاه قصر تيفولي وساروا قليلاً حتى وصلوا إلى ميدان صغير صاخب.. مملوء بباعة الهدايا والمقاهي الصغيرة، وكان الجانب الرئيسي فيه هو القصر وهو محاط بسور عظيم، والباب الرئيسي مغلق في انتظار الساعة الثامنة والنصف.

وكما فعل الجميع، جلسوا على مقهى في الانتظار، وأخذوا يراقبون بسعادة مجموعة كبيرة من الشباب تحيط ببعض أفرادها وهم يعزفون ألحاناً صاخبة، يرقص على أنغامها البعض، ويغني البعض الآخر.

وفي ظل هذا الجو السعيد، انقضي الوقت بسرعة، ليندفع الموجودون جميعاً إلى باب حدائق تيفولي عندما فتحت الأبواب، وأسرع المغامرون الثلاثة يندسون وسط الناس.. وقد بدأ شعور المغامرة يستغرقهم، وشعروا بأن هناك أحداثاً هامة وخطيرة سوف تقع هذه الليلة بلا شك.

وبهذا الإحساس، أمسك كل واحد منهم بيد الآخر، وتقدموا بأولى خطواتهم داخل القصر.. ووقفوا مبهورين.. كان منظر لا ينسى، ولا يمكن أن يوجد ما هو أجمل منه في الدنيا! بعيداً.. تحت أنظارهم كانت مئات النافورات المضاءة بالأضواء اللامعة تتراقص وسط ليل حالك.. النافورات بينها الكبير وبينها الصغير، وكل منها في بقعة من الضوء ترتع وتنخفض مع المياه المندفعة من جوف الأرض إلى النافورة.. وحولها سواد الليل المظلم.. ومع السائرين.. ساروا، ارتفعوا درجات عديدة، سلالم عالية، داخل قصر قديم.. قدم الزمان البعيد، ثم عبروا شرفات واسعة.. ليصعدوا سلالم أخرى حتى قمة القصر.. وبعدها بدأ من الجهة الأخرى النزول إلى الحدائق.. وكلما نزلوا مجموعة من الدرجات وجدوا الحدائق تتسع أمامهم وقد تناثرت فيها النافورات.. ثم هبطوا درجات أخرى إلى أسفل ليصلوا إلى حدائق أكثر اتساعاً.. وأخذوا يدورون ويدورون حول النافورات الكبيرة الرائعة التي يتقافز تحتها السياح، وينزلون إلى أخرى.. وهكذا، حتى هبطوا إلى قاع الحديثة، حيث كانت أكثر اتساعاً وظلاماً، وأضواء متناثرة حول النافورات.

ووقفوا في ذهول، استولى عليهم جمال المنظر.. وظهر أنهم لن يفيقوا أبداً من الانبهار بهذا السحر والجمال.

وأخيراً همس ممدوح: ما هذا؟ هل سننسى أنفسنا هنا؟ سوف ينقضي الوقت، ونحن غارقون في هذه الحدائق الساحرة.

محسن: معك حق.. يجب أن ننتبه لما جئنا نبحث عنه.

أحمد: وما الذي نبحث عنه؟

هادية: أولاً، يجب أن نقف في مكان بعيد عن الضوء، وعن الناس حتى يمكننا أن نقرر أين نبحث وعن أي شيء نبحث.

نظروا حولهم.. وأشار أحمد إلى مكان أمامهم وقال: ما رأيكم لو سرنا في هذا الاتجاه إلى آخر الحدائق.. يبدو أن المكان هناك مظلم، ولم يصل إليه السائحون بعد!

وتقدم ممدوح يسير في المقدمة، وكان الممر الممهد الذي يسيرون فيه يمضي بين الحشائش..ساروا حتى وصلوا إلى آخر نافورة، ولكن الممر كان لا يزال ممهداً أمامهم، فواصلوا السير.. وجدوا أنفسهم يبتعدون شيئاً فشيئاً عن أضواء الحدائق.. وبدأ ظلام الليل يحيط بهم، ولكنهم مضوا في طريقهم حتى وصلوا إلى نهاية الحدائق.. وكان هناك سور حجري عال يعلو مكانهم أسفل الحدائق إلى ارتفاع يوازي ارتفاع القصر العالي، الذي نزلوا درجاته العديدة، ثم مدرجات الحدائق المرتفعة.

قال أحمد: يكاد السور يصل إلى ارتفاع خمسة طوابق على الأقل.

محسن علينا الآن أن نحدد ماذا سنفعل، هانحن قد وصلنا إلى تيفولي وهي الكلمات المكتوبة على المفتاح السري.. وهي أيضاً المكان الذي به النافورات التي رسمها الأستاذ زاهر في لوحته.

هادية: انظروا حولكم بدقة بين هذه النافورات، وتذكروا تشكيل النافورات المرسومة في اللوحات، كانت سبع نافورات، ثلاثة في الوسط والوسطى أكبر من زميلتيها، ثم في كل جانب منها نافورتان كبيرتان.

وتفرقوا وساروا بحذر في محاذاة السور، ينظرون إلى خمسمائة نافورة أمامهم، في محاولة للعثور على الشكل المطلوب.

ولم يمض وقت طويل قبل أن ترتفع صيحة محسن، تعالون هنا بسرعة، انظروا، ها هي ذي النافورات السبع!

أسرعوا إليه، كان يقف في نهاية السور، ووسط الظلام، شاهدوا أصبعه يشير إلى مدرج مرتفع، وأمامه تماماً تتراقص الأضواء الملونة مع المياه المندفعة من سبع نافورات، في الوضع والشكل، كما هو موجود في اللوحة تماماً.

وصاحت هادية: تعم.. إنها هي.. إذن هي خقيقة وليست خيالاً!

وصمت الجميع، حتى عاد أحمد يسأل هل سنفتش عن باب للمفتاح السري حول النافورات!

قال ممدوح: غير معقول طبعاً! وصمتوا جميعاً وتذكروا تشكيل النافورات المرسومة في اللوحة كانت سبع نافورات.. ثلاثة في الوسط أكبر من زميلتيها، ثم في كل جانب منها نافورتان كبيرتان.

وتفرقوا وساروا بحذر في محاذاة السور، ينظرون إلى خمسمائة نافورة أمامهم، في محاولة للعثور على الشكل المطلوب.

ولم يمض وقت طويل قبل أن ترتفع صيحة محسن، تعالوا هنا بسرعة، انظروا، ها هي ذي النافورات السبع!

أسرعوا إليه، كان يقف في نهاية السور، ووسط الظلام، شاهدوا أصبعه يشير إلى مدرج مرتفع، وأمامه تماماً تتراقص الأضواء الملونة مع المياه المندفعة من سبع نافورات، في الوضع والشكل، كما هو موجود في اللوحة تماماً.

obeikandl.com

وصاحت هادية: إنها هي..إذن هي حقيقة وليست خيالاً!

وصمت الجميع، حتى عاد أحمد يسأل: هل سنفتش عن باب للمفتاح السري حول النافورات!

قال: ممدوح غير معقول طبعاً!

وصمتوا جميعاً حتى قالت هادية: أليس من الواجب أن تجعلوا عقولكم تعمل قليلاً.. هل سأظل أفكر بالنيابة عنكم؟

أجاب محسن طبعا لا.. أنا أعرف أين نفتش!

قالوا جميعاً في وقت واحد: أين؟

محسن: لقد كنا موفقين حتى الآن.. عرفنا أن كلمة تيفولي الموجودة على المفتاح السري، المقصود بها هذه الحدائق.. وتأكدنا من ذلك، لأننا وجدنا النافورات السبع المرسومة في اللوحة التي رسمها الأستاذ زاهر والتفكير السليم يجعلنا نتساءل كيف رسم الرسام هذه النافورات؟. لقد كان يواجهها تماماً، وهذا واضح من الرسم.

ممدوح: كلام معقول!

هادية: إنه كلام صحيح، لقد كان الأستاذ زاهر يجلس في مكان يواجه هذه النافورات وهذا المكان بلا شك كان فوق هذا السور العالي، مواجهاً لها!

محسن: نعم.. يجب أن نصعد السور، وسوف نجد المكان

وتلفت ممدوح حوله.. وأخذ يتحسس السور قم قال: هنا درجات ضيقة تصعد إلى أعلى.. تعالوا ورائي.. ولمسك كل منكم بقميص الآخر، ومن حقيبته التي يحملها وراء ظهره، أخرج بطارية صغيرة، أضاء بشعاعها الرفيع درجات السلم أمامهم.. وبحرص شديد، أخذوا يصعدون خطوة وراء خطوة، وكانوا يتوقفون بين فترة وأخرى، وهم يتصورون أن هذه السلالم لا نهاية لها.. حتى وجدوا أنفسهم فجأة أمام طريق دائري رفيع فوق نهاية السور، وسعدوا إليه.. ووقفوا متجاوزين وهم يحاولون حفظ توازنهم.. وكان المنظر أمامهم غريباً

في ظل ضوء بسيط من أضواء مصابيح الشوارع البعيدة، وظلال نور النافورات الأكثر بعداً، كان أمامه بناء دائري من الحجر الأسود، مقسم إلى حجرات مظلمة كل حجرة أمامه شرفة واسعة، يفصلها عن شرفة الحجرة المجاورة سور من الحديد المشغول بطريقة فنية، ولكنه لا يسمح بمرور أي شيء من خلاله، وإن كن يسمح بالرؤية.. وحول البناء كله سور حديدي آخر على نفس الطراز، وكان مرتفعاً لدرجة أنهم لا يمكنهم أن يقفزوا من فوقه

أخيراً نطق ممدوح: ما هذا؟ هل هو فندق؟

أجاب أحمد: غير معقول.. الفنادق لا تكون مظلمة هكذا في مثل هذا الوقت!

محسن: يبدو وكأنه غرف الحرس في الزمان القديم لسكان هذا القصر!

هادية: مهما كان هذا البناء.. فمن المؤكد أن الأستاذ زاهر كان يجلس في إحدى هذه الشرفات ليرسم النافورات السبع!

واخذ محسن ينظر إلى البناء ثم قال: إنهم إحدى عشرة حجرة، والحجرة التي يجلس فيها الأستاذ زاهر هي بالتحديد رقم (٩).. لأنها هي المواجهة للنافورات.

هادية: إن هذا السور ليس به أحد على ما يبدو فكيف كان يدخل على هذه الحجرة؟

ممدوح: تعالوا نسير حول السور، حتى نجد المدخل!

وأخذ يسير في الطريق الضيق، بين السور الحديد، ونهاية سور حدائق تيفولي الصخري، وكان طريقاً دائرياً يحيط بالبناء، وسار وراءه بقية المغامرين، وأخذ السور ينحني وهم يسيرون بجواره ويتسع الطريق، حتى وجدوا في نهايته باباً عريضاً، بعد أن ساروا فيما يشبه نصف الدائرة.

obeikandl.com

المفاجأة الأخيرة

ممدوح

كان الباب ضخماً عالياً، من الحديد الأسود المشغول مثل بقية السور، ولكنه كان مغلقاً تماماً أمامهم، ورفع ممدوح البطارية الصغيرة، وألقى بضوئها على الباب محاولاً فحصه ليعرف طريقة للدخول، ثم توقف بالبطارية على لافتة صغيرة معلقة بجوار الباب، وقرأها أحمد ليقول مندهشاً:

هل تعرفون ما هذا المكان؟ إنه مرسم!

صاح ممدوح: مرسم!

أحمد: نعم.. مرسم مخصص للفنانين وهو.

نظام معروف هنا، إن الحكومة تقدم لكل فنان مكاناً خاصاً به، يستعمله أستوديو للرسم أو النحت، أو إنتاج أي نوع من الفنون.

محسن: لقد كان للأستاذ زاهر أو الفنان الجزائري المتنكر إحدى هذه الحجرات يستعملها مرسماً يرسم فيه.. إننا سائرون على الطريق الصحيح حتى الآن...

هادية: رائع.. رائع.. الآن، يجب أن نصل إلى المرسم الخاص به، رقم ٩.

وبدأ الحماس يدب فيهم، واللهفة على الوصول إلى حل للقضية الغامضة التي تحيط بهم تدعهم إلى مزيد منم الحماس، وقد بدءوا يشعرون بأن كل ما خططوا له وتوقعوه قد أصبح على قيد خطوات منهم.

وسلط ممدوح ضوء البطارية على قفل الباب، وقال: إن الباب مغلق من الداخل بمتراس بسيط، ليست هناك أقفال حديدية ولا سلاسل ولا أي شيء من هذه الأشياء.

محسن: معنى ذلك أن المكان ليس مهجوراً كما تصورنا، لابد أن هناك أحداً في الداخل.

ممدوح: ولكن كل حجرات الرسم مظلمة، وليس هناك أحد من الفنانين فيها على ما يبدو!

محسن: ربما كانوا يعملون بها بالنهار فقط، ولكن على الأقل يوجد حارس يغلق الباب من الداخل.

هادية: هذا صحيح، ولكنها مشكلة.. هل نطرق عليه الباب؟ ولكنه قطعاً لن يسمح لنا بالدخول

أحمد: وكيف نتسلل؟. ربما كان هناك أكثر من حارس!

نظر ممدوح إلى أعلى الباب، وقال: لابد من المخاطرة، إنها مغامرة يجب أن نصل إلى نهايتها..

سوف أحاول تسلق الباب، وعليك يا مسحن أنت وأحمد أن ترفعاني بأيديكم إلى أعلى ما تستطيعون.

ولم يكن أمامهم إلا هذا الحل.. رفع محسن وأحمد ممدوح إلى ما فوق أكتافهم، وكان يساعدهم بمحاولة التشعلق في الحديد البارز من الباب، ثم رفع نفسه بأقصى ما يستطيع حتى لا مست أصابعه أعلى الباب، ورفع جسمع مرة أخرى، وكأنه على وشك أن يقفز، حتى أمسك بسور الباب المرتفع.. وضغط على السور بكل قوته، واستجمع كل رشاقته والتعليمات الرياضية التي كا يتبعها في القفز العالي ثم طوح بجسده كله، ليجد نفسه وقد جلس على سور الباب كالحصان، وتنفس بعمق ونظر حوله، ولم يجد مخلوقاً في ظلام الليل، ظل قليلاً في مكانه وبقية المغامرين يمسكون أنفاسهم وهو يتوقعون مفاجأة بين لحظة وأخرى.. حتى وجه ممدوح ضوء بطاريته إلى الأرض داخل السور، ليعرف الارتفاع الذي يجب أن يعد نفسه له، ثم عبر بساقه الأخرى الباب، وأخذ يتسلق الحديد بقدميه نازلاً إلى داخل حديقة المرسم.. حتى اقترب قليلاً، ثم قفز إلى الأرض..

ومرة أخرى بقى صامتاً حتى اطمأن إلى أن صوت قفزته لم تلفت إليه الأنظار، وبدأ يبحث عن مزلاج الباب، وعثر عليه بدون عناء، وجذب اللسان ليصبح الباب حراً.. وجذبه بيده بكل قوته، وأصدر الحديد صوتاً خافتاً، ومن خلال فتحة صغيرة تسللت هادية ثم محسن وأحمد.

أغلقوا الباب وراءهم، وغير بعيد عنهم كانت حجرة صغيرة منفردة، همس محسن إنها بلا شك حجرة الحارس.. وفي قفزات رشيقة مكتومة وصل ممدوح إليها.. نظر من بين الستائر المسدلة على النافذة.. وعاد سريعاً..

قال هامساً: إنه حارس واحد.. مستغرق في نوم ثقيل!

ومن الحسن الحظ أن الحجرة رقم (٩) كانت في الجهة الأخرى من حجرة الحارس.. وعلى ضوء الشعاع الرفيع الذي تصدره بطارية ممدوح اندفعوا في خطوات متلصصة إلى الحجرة المطلوبة

وأمام بابها الخشبي الضخم، وقفوا حائرين ولكن أحمد بنظرة سريعة إلى ثقب الباب، أشار إليهم صامتاً، ليلفت نظرهم إلى حجمه الكبير، وفهموا على الفور.. أخرج أحمد المفتاح الأسود الضخم، والذي يختفي في قلبه المفتاح الرس، وأداره في ثقب الباب فإذا به – وفي سهولة تامة– يتحرك وينفتح لهم بكل بساطة.

وفي الظلام تصافحوا بأيديهم بدون كلمة، كأنهم يقولون في صمت، نعم نحن على الطريق الصحيح.. ومد ممدوح يده بشعاع الضوء الرفيع، وأداره في الحجرة، كانت شبه خالية من الأثاث، وليس بها أحد، فاندفع داخلاً ووراءه الجميع، وأغلق الباب وراءهم قبل أن يمد يده ليشعل النور.

سطع الضوء في الحجرة الواسعة، ونظروا حولهم بكل دقة ولهفة، كانت الستائر السميكة مسدلة على باب الشرفة الكبير.. والحجرة تكاد تكون خالية، وفي ركن منها مكتب كبير على الطراز القديم عليه عشرات من الأوراق، ووراءه مكتبة تمتلئ رفوفها بالكتب.. ثم.. حامل خشبي مثل ذلك الذي يستعمله الرسامون، وعليه لوحة خالية معدة للرسم.. وبجواره٩ حامل صغير عليه مجموعة من فرش وألوان الرسم.

قالت هادية هامسة: لقد توصلنا تقريباً إلى حقيقة كل شيء.. كلمة تيفولي والنافورات السبع ومخبأ الفنان، والمفتاح الأسود الكبير، بقى شيء واحد.. وهو أهم ما في هذا اللغز الغامض.

أجاب محسن وهو يهمس أيضاً: بقى السر المجهول الذي يخفيه الأستاذ زاهر بكل هذه السرية، والذي تبحث عنه العصابة الرهيبة، والذي يختفي وراء باب يفتحه المفتح السري الصغير.

قالت هادية: وهذا الباب هو ما سنبحث عنه هنا، فهو المكان الوحيد الذي يجب أن يكون فيه

محسن: فعلاً، لقد فتحت باب الحجرة بالمفتاح الخارجي.. فلابد أن السر في الحجرة، كما أن المفتاح الصغير في قلب الكبير!

أحمد: دعونا نبحث فوراً

وبدءوا يبحثون بكل قوتهم.. وبكل لهفتهم.. وكان مجال البحث بسيطاً وراء الكتب، وفي أجزاء المكتب قطعة قطعة، وجدران الحجرة، والأرض.. حتى السقف بكل دقة.. ولكن.. بدون جدوى.

واتكأت هادية بظهرها على ركن المكتب، وأخذت تنظر حولها في حيرة، ثم تحركت لتتجه إلى جانب آخر.. ولكن فستانها اشتبك بشيء في ركن المكتب، التفت خلفها لتخلص ثوبها، فلاحظ أن أركان المكتب الأربعة مزينة بزينة جميلة من النحاس.. وساعدهما محسن في تخليص لثوب منها، ونظرت إلى الشكل الفني النحاسي، وفلتت منها صرخة، وتمالكت نفسها.. وقالت مشيرة إلى ركن المكتب: انظروا.. إنه أبو الحول!

كان الركن النحاسي – الذي ازدان به المكتب على شكل أبي الهول مصنوعاً بأسلاك رفيعة من النحاس.. لا تكاد تظهر لأول مرة!

وقال أحمد حائراً: ما معنى ذلك؟

قال محسن بلهفة: إنه الرسم الذي في اللوحة.. أبو الهول والنافورات السبع!

سلط ممدوح الضوء على الشكل الفني، كان به شق رفيع لا يكاد يرى وكان هناك أيضاً شق آخر في كل من الأركان الأربعة

أمسك محسن المفتاح السري الرفيع، وهو يكاد يرتعد من اللفة، وانزلق المفتاح في الفتحة الرفيعة وأداره محسن فسمع صوت تكة خافتة ولكن باباً لم يفتح.. أسرع إلى الركن الثاني، وأدار المفتاح، وسمع نفس الصوت، فأسرع إلى الثالث ثم الرابع..

وكانت المفاجأة.. سمعوا فجأة صوت هدير خافت وكأن هناك ماكينة تبدأ دورانها، وصرخ أحمد انظروا.. والتفتوا إلى حيث أشار، كان الحائط أمامهم يرتفع بهدوء إلى أعلى.. لا لم يكن الحائط وإنما طبقة خفيفة من ورق الحائط في مساحة نصف متر على الأكثر ترتفع إلى

أعلى ثم توقفت، وظهر وراءها تجويف في الداخل، معلق فيه لوحة من الورق السميك، وكانت اللوحة مملوءة بالكتابة، بالأرقام والحروف، وكلها بألوان مختلفة.

وساد الصمت.. وهمس أحمد إنها معادلة رياضية.. يبدو أن ابي قد توصل إلى اكتشاف جديد غير معروف.. وقبل أن يرد عليه احد.. إذ بصوت رهيب يملأ المكان حولهم.. وقبل أن يفيقوا من دهشتهم توالت المفاجآت.

كان الصوت لمجموعة من الطلقان النارية اندفعت تملأ المكان فوق رؤوسهم، وقد انهار الباب تحت اندفاع اربعة من الرجال يجمل كل منهم في يده مدفعاً رشاشاً.. وعرفوا منهم واحداً.. كان زائرهم المجهول.. الذي تقدم منهم وفي يده مدفعه الرشاش وقال ضاحكاً:

كانت توقعاتي صحيحة.. أعطيتمونا المفتاح المزيف، لقد عرفت ذلك على الفور، ولكن حتى لو كنا حصلنا على المفتاح، لما كنا سنصل إلى هنا بدونكم، ولذلك تركتكم، ولكني وضعتكم تحت الملاحظة الدقيقة، لقد عرفت أنكم ستوصلوني إلى ما نبحث عنه.

وصرخ أحمد واندفع متجهاً إليه صائحاً: ماذا تريدون.. يا لصوص.. يا قتلة.. ولكن رصاصة فوق رأسه جعلته يتوقف ويسقط بين يدي محسن الذي أسرع إليه يعيده إلى الوراء.. وقال الرجل ساخراً: ألا تعرف ماذا تريد، هذه المعادلة التي توصل إليها أبوك، لقد قتلناه، واستولينا عليها الآن.. ولن يتمكن أحد من التوصل إليها منكم، أبوك فقط الذي استطاع.. والآن.. وداعاً لها وله.

وارتفع صوت صارخاً: ممدوح، محسن، انبطحوا على الأرض!

وكأنه أمر عسكري وبحركة لا إرادية سقط أحمد ومحسن وممدوح وهادية أرضاً في اللحظة التي أنطفأ فيها نور الغرفة، وارتفعت أصوات طلقات طائشة، وصوت التحام استمر لحظات خاطفة، ثم سقوط أجسام على الأرض، وصليل أصوات سلاسل حديدية وجاء الصوت مرة أخرى، ولكن هادئاً: الآن يمكنكم الوقوف!

ورفعوا رؤوسهم عن الأرض، وكان عقل هادية يدق في رأسها وقالت لنفسها: أنا أعرف هذا الصوت. أنا أعرف هذا الصوت.

وأضيئت الأنوار، ووقفوا على سيقانهم المرتعدة ونظروا حولهم.. كان صاحب الصوت يقول مرحباً، مرحباً بالأصدقاء!

وهتف المغامرون الثلاثة في صوت واحد، المفتش حمدي!

ولم تتسع يداه لاحتضانهم جميعاً.. وأفاقوا نظروا حولهم.. كان أفراد العصابة الأربعة يستقلون على الأرض، وأيديهم مقيدة بالقيود الحديدية، وكانوا كممن يفيق من إغماء ثقيل، يهزون رؤوسهم يميناً ويساراً.. والمفتش حمدي ينظر إليهم ضاحكاً.. وأشار قائلاً للأولاد: لقد ضاعت أحلامهم.. إنهم لا يعرفون حقيقة المغامرين الثلاثة

وأشار إلى أحمد قائلاً: آسف، أقصد المغامرين الأربعة!

واتجه إلى الحائط، ونزع اللوحة بكل ثقة، ثم طواها بشكل اسطواني لتصبح مثل الأنبوبة الرفيعة ثم وضعها داخل عصا طويلة، وأغلقها من أعلى بكل عناية، ووضع العصا تحت إبطه.. ونظر إليهم قائلاً: لا داعي للكلام الآن، فلدينا وقت طويل.. وارتفعت أصوات سيارات النجدة والإسعاف، واندفعت قوات الشرطة، وبدأ حديث حار بين المفتش حمدي وضابط البوليس الإيطالي، وجلسا إلى المكتب، وكتبا محضراً طويلا.. وقعه كل منهما، وأخذ حمدي نسخة وترك للضابط الإيطالي نسخة أخرى، ودخل جنود الشرطة ليقودوا أفراد العصابة إلى الخارج وهو ينظرون إلى الأولاد الأربعة والمفتش حمدي ورفاقه بنظرات نارية مجنونة!

وضحك حمدي ونظر إلى مجموعة من الرجال.. أربعة كانوا معه، تهامس معهم وانصرفوا بعد ذلك على الفور!

اتجه إلى المغامرين الأربعة وقال: هيا بنا، سوف نعود جميعاً في عربتي إلى منزلكم، فبيننا حديث طويل!

ولم يتكلموا، كان الخوف والذهول من طلقات الرصاص مازال يسيطر عليهم.. وطوال الطريق الذي كان يقود فيه المفتش حمدي سيارته بمهارة فائقة، لم يتحدث واحد منهم، حتى وجدوا أنفسهم يستلقون على الكراسي الوثيرة في منزل أحمد.. وانطلقت ضحكات حمدي تهزهم من الذهول الذي غرقوا فيه، ليبدأ ممدوح في الضحك ثم يتبعه الجميع.

وقال حمدي: إنها المرة الأولى التي تسكتون فيها!

محسن: كانت الأحداث أقوى منا

حمدي: وهي أيضاً المرة الأولى التي سأتكلم أنا وتسمعون أنتم!

وصمت الجميع

حمدي: أعتقد أن هذه المغامرة كانت أصعب مغامرة مرت بكم، ولكنكم كنتم أعظم مما توقعت لقد توصلتم إلى ما عجزت عنه أقوى عصابات المافيا.. وما عجزن عنه أنا أيضاً

وابتسموا سعداء بهذا الإطراء

وأكمل حمدي حديثه وهو يهز العصا: وأنقذتم أيضاً ثروة قومية لا تقدر بثمن، وضحكوا في فخر

نظر إلى أحمد وقال: أحب أولاً أن أطمئنك عن والدك، إنني أتصل بالقاهرة يومياً، وسوف يستعيد وعيه تماماً وصحته الغالية في خلال أيام قليلة قادمة

وأنتم ماذا تريدون من أن أقول؟ أعتقد أنكم تعرفون القصة كلها، إن الأستاذ زاهر يجري أبحاثاً على سلاح خطير، وكان يتعاون مع أحد العلماء الإيطاليين، وقد ابتكر شخصية الفنان الجزائري حتى لا يتوصل له الأعداء الذي يراقبون علماءنا في كل مكان، وفعلاً نجح في التنكر والاختفاء منهم، ولكنهم لم ييأسوا، فخطفوا العالم الإيطالي الذي أنكر معرفته بمكان المعادلة التي توصل إليها الأستاذ زاهر وتحت التعذيب ذكر لهم أنه لا يعرف إلا أن المكان السري يفتح بمفتاح اسود.. وبالنسبة لهم فأنتم تعرفون الباقي.. فقد تتبعوكم ليصلوا إلى مخبأ المعادلة السري.

أحمد: وأنت كيف حضرت"؟ لم أكن أعرف أنك صديق لأصدقائي الثلاثة!

قال حمدي ضاحكاً: إنها صداقة عزيزة، لقد حضرت إلى روما عندما وصل خبر إصابة الأستاذ زاهر، وعندما علمت بأن أصدقائي الثلاثة سوف يصلون فكرت في أن نتركك معهم، أولاً: حتى نستطيع معرفة العصابة لو حاولت الاتصال بك، وثانياً: لأننا كنا نخشى أن تصل العصابة إلى المعادلة السرية قبل أن يستعيد الأستاذ زاهر وعيه، وهذه مأساة كبرى، فقررت أن أبقى هنا، وأستعين بأربعة رجال من شرطة مصر السريين وكنا نتتبعكم خطوة بخطوة.. وعرفنا أن العصابة هي الأخرى في إثركم، فوضعناها معكم تحت رقابتنا، وعندما وصلتم إلى المرسم، كنا جاهزين حولكم.. واعتقد أننا وصلنا في الوقت المناسب، أطفأنا النور، وضربناهم على الرؤوس قبل أن يتغلبوا على المفاجأة، ثم وضعنا في أيديهم القيود.. وتسلمتهم شرطة إيطاليا على طبق فضي!

تنهدت هادية براحة وقالت: حقاً، لقد أنقذت حياتنا في الوقت المناسب!

حمدي: على العكس، أعتقد أنهم ما كانوا ليقتلونكم، لقد كان كل همهم هو الاستيلاء على هذه.

وهز العصا في يده، وأكمل: ولكنهم لم يعرفوا قط أنهم يواجهون أذكى مغامرين شاهدتهم أوروبا.. لقد أنقذتهم سمعة علمائنا!

ضحك محسن وقال: على فكرة، نحن نعرف هذا السلاح السري!

هز حمدي رأسه وقال: للأسف، لقد نجح الأستاذ العبقري في الوصول إلى اكتشاف طريقة تصنيعه ولكننا لا نملك مكوناتها، ولذلك لن نتمكن من صنعها

ثم تحول إليها ضاحكاً وقال: سوف أسافر غداً.. إلى متى ستمكثون فر روما؟ صاحوا في وقت واحد سوف نسافر معك!

قال حمدي: إذن هيا بنا.. حقاً نحن الآن في منتصف الليل، ولكن روما لا تنام، تعالوا نشاهد نافورة الأماني، يقال أن الذي يلقي بها قطعة نقود، ويطلب أمنية فسوف تتحقق له.. ترى ماذا ستطلبون؟

قالوا ضاحكين: لغزاً آخر!

حمدي: إذا كان الأمر كذلك، لن نذهب.. هيا أسرعوا إلى النوم، كنت أريد أن أطلب إجازة هادئة من نافورة الأماني، ولكن لا داعي حتى لا تتحقق أمنياتكم ويظهر لنا لغز جديد.

وفي اليوم التالي ارتفعت بها الطائرة، ونظروا إلى مدينة روما وهي تبتعد وقالوا في وقت واحد: على اللقاء يا روما "أريقدتش" روما..

ونظروا إلى العصا التي في يد المفتش حمدي.. كان يشير بها بدوره.. نظروا إليها في إعزاز وفخر.. وأغمضوا أعينهم وراحوا في سبات عميق.. وكانوا يحلموا برحلة أخرى ولغز جديد..

obeikandl.com

عزيزي القارئ

يسر إدارة دار المعارف أن تقدم لك هذه المجموعة المختارة من مطبوعاتها التي تضيف إلى عقلك ووجدانك كل جديد.

مجموعة سيرة الرسول ﷺ:

صدرت في ٢٣ كتاباً منها:

- المولد
- النشأة
- الوحي
- الهجرة
- فتح مكة
- سحاب وضباب
- الوفاة
- غزو بدر

مجموعة المكتبة الحديثة للأطفال:

صدرت منها ٦٠ كتاباً.. منها:

- بنت قاطع الخشب
- مثال الرحمة
- الأميرة المدبرة
- الموسيقيون الثلاثة
- الصبر في سبيل النجاح
- الصياد المسكين
- الشاب الوفي
- حارسة الورد
- تأديب الأميرة
- الحظ السعيد
- حلم يتحقق
- الشاب الشجاع

obeikandl.com

مجموعة حكايات من كليلة ودمنة:

صدرت في ١٠ كتب.. هي:

- قلبي في الشجرة
- الشجرة تشهد لي
- أكلت الجديد
- وكسر الجرة
- مغامرات زيرك
- خدعة دمنة
- كلني يا مولاي
- عين القمر
- جرزان بدرور
- حيلة الغراب

مجموعة أولادنا:

صدرت في ٣٨ كتاباً منها:

- إيفنهو
- عودة المحارب
- كنوز الملك سليمان
- نساء صغيرات
- الزتبقة السوداء
- بينوكيو
- الربان الجريء
- الأدغال
- أوليفرتويست
- مملكة السحر
- في مهب الريح
- آلة الزمن

obeikandl.com

الفهرس

روما.. المرة الأولى ٤

الفنان الغامض..... ٢٣

المياه الراقصة..... ٣٦

المفاجأة الأخيرة ٤٧

obeikandl.com